الفصل الرابع
الحياةُ الثقافيةُ في مدينةِ مرو في العهدِ السلجوقي

حظيت مدينة مرو أثناء العهد السلجوقي بنهضة ثقافية كبيرة واسعة، فهي من أكبر مراكز النهضة الثقافية في الشرق الإسلامي، فقد تخرج منها عدد من كبار العلماء والفقهاء والمحدثين واللغويين والشعراء والتصوف والفلاسفة وغيرهم، مما أصبحت معقلًا ومهبطًا للعلماء وطلاب العلم الذين يحضرون إليها من جميع الأمصار الإسلامية ليتلقوا العلم من علمائها.

وقد شجعت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة المسلمين على طلب العلم وتحصيل المعرفة، ومنها قوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزمر: ٩]، وقال الله تعالى: ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا** ﴾ [طه: ١١٤] وقال-عَزَّ وجَلَّ: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا** ﴾ [فاطر: ١٢٨]، وقال صلى الله عليه وسلم: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**»، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جحرها، حتى الحوت ليصلون على معلمي الناس**»، وردت الأحاديث في سنن الترمذي والنسائي.

وقد قام الحكام بتشجيع العلماء وتقديرهم[١] وإجزال العطاء لهم؛ مما كان له أثر كبير في التقدم والازدهار بالحركة الثقافية في مدينة مرو وقتذاك[٢]، فكان السلطان سنجر محبًّا لأهل العلم[٣]؛ فتدفق العلماء عليه وأصبحت مدينة مرو

(١) الراوندي: راحة الصدور آية السرور ٧٢

(٢) Reynold Nicholson: Ali Terory History of the Arabis p.276

(٣) الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية ١٢٥.

obeikandl.com

منهلًا ومقصدًا للعلم[١].

وكان للوزراء أيضًا دور هام في تقدم الحركة العلمية، فنذكر الوزير نظام الملك كان أعظمهم شأنًا فقد تمكن أن يجعل البلاط السلجوقي مركزًا ثقافيًّا، وكانت مجالسه عامرة بالعلماء والفقهاء والشعراء[٢]، كذلك الوزير عبد الدوام عبد الله بن علي بن إسحاق وزير السلطان سنجر كان متعمقًا ومتبحرًا في علوم الشرع، متكلمًا في الأصل والفروع، وصارت للفقهاء في زمانه مكانة كبيرة[٣]، وكذلك أيضًا الوزير نصير الدين المظفر الخوارزمي أحد وزراء السلطان سنجر، كان من أساطين العلوم العقلية والنقلية وخاصة في الفقه الشافعي[٤].

أيضًا من عوامل ازدهار النهضة العلمية اهتمام أهل مدينة مرو بتشجيع العلم والعلماء، فلم يبخل بعض العلماء ذوي الثروة في الإنفاق على العلم، فكان أبو الحسن علي بن الحسين الحفصوي المروزي كان كريمًا مع طلبة العلم والعلماء من المسلمين[٥]، كذلك أيضًا الإمام أبو المعالي عبد الله بن أحمد الحلواني المروزي الذي صرف الكثير على العلم واشترى بأمواله الكثير من الكتب ووقفها على أهل العلم، وأنشأ رباطًا للمحدثين بمدينة مرو[٦].

أيضًا من عوامل ازدهار الحركة الثقافية حركة الترجمة التي نشطت وجعلت العلوم العلمية والتجريبية في متناول المسلمين، فاستفادوا منها

---

(١) الراوندي: راحة الصدور ٢٦٠.

(٢) نظام الملك: سياست نامه ٥.

Micheel Broome: A Hand book of Islamic coins,p.84

(٣) البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ٢٤٥.

(٤) خواندمير: دستور الوزراء ٢٨٢- ٢٨٣.

(٥) السمعاني: الأنساب ٢/ ٤٩.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ١١٤- ١١٥.

openkanal.com

وهضموا ما فيها ثم أخذوا يضيفون عليها؛ فظهرت مآثر المسلمين في كثير من العلوم كالطب والفلك والرياضة والفلسفة والجغرافيا والكيمياء[١].

كما كان لانتشار الفرق الدينية والمذاهب المختلفة التي اتخذت من العلم وسيلة وطريقة لتحقيق أغراضها السياسية والدينية عظيم الأثر في النهضة الثقافية، وقد ظهر ذلك في الآثار العلمية والأدبية التي خلفها رجال العلم من السنة والشيعة[٢].

كذلك كانت الرحلة في طلب العلم من سمات الحياة العامة في مدينة مرو في العهد السلجوقي، وقد ساعد على تيسير هذه الرحلة عدم وجود أي حواجز أو عوائق بين خراسان وما وراء النهر، فكانت مدينة مرو محل ترحال العلماء وحلهم، وكان طلاب العلم ينتقلون من بلد إلى آخر في حركة دائبة للوصول إلى المنبع الأصلي للعلم، فعلى سبيل المثال كانت رحلة أبي معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي[٣] (٤٣٧هـ/ ٤٤٤هـ، ١٠٤٥ م/ ١٠٥٢م)، وقد بدأت هذه الرحلة من مدينة مرو إلى أذربيجان وأرمينيا والشام وفلسطين ومصر والحجاز ونجد وجنوب العراق ثم عاد إلى إيران منتهيًا به المطاف إلى بلخ[٤]، وقد دون ناصر خسرو ما شاهده في هذه البلاد في كتابه سفرنامه[٥].

أيضًا من الطلاب الذين رحلوا في طلب العلم أبي الحجاج يوسف بن

---

(١) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١٩٠.

(٢) عبد النعيم حسنين: المرجع السابق ذكره ١٨٧.

(٣) ناصر خسرو: سفرنامه ١/ ٣٥، ترجمة يحيى الخشاب-القاهرة-مطبعة لجنة التأليف والترجمة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥ م.

(٤) ناصر خسرو: سفرنامه ١/ ١- ٢، ترجمة يحيى الخشاب-القاهرة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ٥٦، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٥) حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/ ٩٩١.

openkanar.com

محمد بن فارو الأندلسي الأشكري، وهو شاب حسن السيرة عارف بالحديث، خرج في طلب العلم من بلاد المغرب ورحل إلى العراق ثم إلى نيسابور ومرو وهراة وسمع الحديث، وانتهى به المطاف ببلخ حيث مات بها[١].

أيضًا كذلك الفقيه البسكري الذي نشأ وتربى في بلاد المغرب ثم رحل إلى مدينة مرو سنة (٥٤٢هـ/ ١١٤٧ م) وتوفي بها[٢].

كما اشتهر أبو سعد عبد الكريم السمعاني[٣] برحلاته العديدة في شتى البلدان والأمصار الإسلامية مما ساعده على تأليف كتاب (الإسفار عن

(١) السمعاني: الأنساب ١/ ١٦٨.

(٢) السمعاني: المصدر السابق ذكره ١/ ٣٥٤.

(٣) هو أبو سعد السمعاني الحافظ البارع العلامة تاج الإسلام عبد الكريم ابن الحافظ معين الدين أبي بكر محمد ابن العلامة المجتهد أبي المظفر منصور المروزي، ولد سنة ٥٠٦هـ في شعبان وعنى بهذا الشأن ورحل إلى الأقاليم، وسمع من أبي عبد الله الفراوي وزاهر الشحامي والطبقة وبلغت شيوخه سبعة آلاف شيخ، وصنف (الذيل) على تاريخ الخطيب، و(تاريخ مرو) و(أدب الطلب)، و(الإملاء والاستملاء)، و(معجم الشيوخ)، و(معجم البلدان)، و(الدعوات) و(صلاة التسابيح)، و(الأمالي)، و(الأنساب)، و(فضائل الشام)، ومن كنيته أبو سعد، وغير ذلك، مات في جُمادى الأولى سنة ٥٦٢هـ، عن ٥٦ عامًا.
انظر المزيد في: المنتظم ١٠/ ٢٢٤، الكامل في التاريخ ١١/ ٣٣٣، اللباب ١/ ١٣، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٣١٦، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٥٦، المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي للذهبي ٣/ ٦٧، دول الإسلام ٢/ ٧٦، العبر ٤/ ١٧٨، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٧٢، مرآة الجنان ٣/ ٣٧١، طبقات السبكي ٧/ ١٨٠، طبقات الإسنوي ٢/ ٥٥، البداية والنهاية ١٢/ ١٧٥، النجوم الزاهرة ٥/ ٣٧٥، الأنس الجليل ٢٦٨، مفتاح السعادة ١/ ٢٠٦، كشف الظنون ٣٥، ٤٩، ٨٦، شذرات الذهب ٤/ ٢٠٥، روضات الجنات ٤٤٦، هدية العارفين ١/ ٦٠٨، إيضاح المكنون ٢/ ٣٠.

obeikandl.com

الأسفار)[١]، ومما لا شك فيه أن للرحلة في طلب العلم فوائد عظيمة في التعرف على ثقافات الأمم الأخرى والاستفادة منها للوصول إلى المنبع الأصلي للعلم، ومن ثم اتساع دائرة الثقافة بوجه عام.

كما كان توافر استعمال الورق في الكتابة من أهم عوامل تقدم النهضة الثقافية في مدينة مرو، فكانت مدينة سمرقند أكبر مركز لصناعة الورق حيث ينمو بها شجر الكاغد الذي يصنع من لبه الورق، ثم أخذت هذه الصناعة تنتشر في المدن الإسلامية ومنها مدينة مرو[٢] مما أدى إلى تقدم فن الوراقة وقيام الوراقين بنسخ الكتب وتصحيحها وتجليدها[٣] وبيعها.

وقد انتشرت دكاكين الوراقين قرب المساجد في مدينة مرو، وأصبحت مراكز للأبحاث الراقية حيث يلتقي فيها الأدباء وتعقد فيها المناظرات وتدور فيها المناقشات[٤]، وقد ساعدت هذه الدكاكين على رفع المستوى الثقافي وإيجاد طبقة من المثقفين على درجة من النضج والوعي العلمي، وقد اشتغل بالوراقة علماء أجلاء منهم أبو عبد الله محمد بن أبي حامد أمير كابن أبي فيركا الجبيلي الروذباري الذي تقلد القضاء اكثر من ثلاثين سنة بالروذبار بنواحي مرو، وقد أخذ الفقه على والد السمعاني، وكان يتسم بحسن الخط فاشتغل بما يعنيه من نسخ الكتب بخطه، وتوفي بمرو حوالي سنة ٥٤٠هـ/ ١١٤٥ م[٥].

---

(١) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٧/ ١٨١- ١٨٣.

(٢) د/ عصام عبد الرءوف: تاريخ الفكر الإسلامي ١٧٩.

(٣) د/ عصام عبد الرءوف: الدول المستقلة في الشرق ١٧٤- ١٧٥.

(٤) د/ عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١٩٠، محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام ٧٥، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨ م، أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة ٣٧٦.

(٥) السمعاني: الأنساب ٣/ ١٠١.

openkanal.com

أيضًا من مظاهر التقدم في الحركة العلمية ظهور بعض البيوتات التي بلغت مكانة علمية مرموقة مثل أسرة السمعاني التي ينسب إليها أبو سعد عبد الكريم السمعاني الذي يعتبر بيته أرفع وأعظم وأقدم بيت في البلدان الإسلامية في العلوم الشرعية، وكان أسلاف هذا البيت قدوة العلماء[١]، هكذا تجمعت عدة عوامل وأسباب أدت إلى ازدهار الحركة العلمية والثقافية في مرو في العهد السلجوقي.

وهناك عدة أماكن ومؤسسات علمية في مدينة مرو نتيجة لاهتمام سلاطين السلاجقة بالفقهاء والعلماء والمفسرين، وقد تنوعت المؤسسات العلمية في مدينة مرو ويرجع هذا للخلافات المذهبية، حيث أسست لكل فرقة مؤسسة علمية لتدريس تعاليمها ومبادئها.

فنبدأ بالمؤسسة الأولى وهي **(الكتاتيب)**:

وهي المرحلة الأولى من مراحل التعليم حيث يتلقى الصبيان فيها حفظ القرآن الكريم والكتابة والحساب والقراءة[٢] في سن صغير، وكانت الدراسة في الكتاب دراسة تشمل على ما يدرسه الطلاب في المدارس الابتدائية[٣]، وكان يقوم بتعليم الصبيان (معلم الصبيان) مقابل راتب ضئيل[٤]، أما عن وسيلة التعليم في الكتاب فكانت التلقين والحفظ.

---

(١) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٧/ ١٨١.

(٢) البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام ٢٦، د/ عصام عبد الرءوف: الحواضر الإسلامية ٢٤٣، د/ عصام عبد الرءوف: تاريخ الفكر الإسلامي ١٨٠، د/ أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية ٣٨- ٣٩ النهضة المصرية-القاهرة ١٩٦٦ م.

(٣) د/ عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ١٥٨، د/ عصام عبد الرءوف الفقي: الحواضر الإسلامية ٣٤٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل ١٠/ ٣٦٧.

obeikandl.com

ومن أشهر مؤدبي مدينة مرو الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي بكر محمد بن عبد الله الأديب الأكافي النيسابوري، وهو مؤدب الشيخ أبي سعد عبد الكريم السمعاني المتوفى ٥٣٠هـ/ ١١٣٥ م[١]، وأيضًا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحسين المعلم الجيخني، كان شيخًا صالحًا من أهل القرآن يعلم الصبيان برأس سكة كارنلي بمدينة مرو المتوفى ٥٣٩هـ/ ١١٤٤ م[٢].

ومن المؤسسات والأماكن العلمية (**المساجد**):

تعتبر المساجد في مدينة مرو أثناء العهد السلجوقي من أكبر وأهم المؤسسات العلمية، فهي فضلًا عن الغرض الرئيسي لإنشائها وهو العبادة فقد قامت بدور كبير في نشر الثقافة الإسلامية والوعي الديني، فقد ضمت حلقات لتدريس مختلف العلوم الدينية من حديث وفقه وتفسير وقراءة القرآن وعلوم اللغة، ومن هذا يمكن القول: إن المساجد كانت أشبه بالجامعات يدرس فيها مختلف التخصصات، وكان يتولى التدريس فيها علماء اشتهروا بإتقانهم هذه العلوم[٣].

فكان الشيخ أبو بكر محمد بن منصور السمعاني المروزي يعقد مجالس إملائه بمسجد مرو حيث أملى به مائة وأربعين مجلسًا[٤]، وكان أيضًا أبو بكر محمد بن عبد الرحيم الأندغني يدرس الفقه بالجامع في رأس الصيارفة بمدينة مرو[٥].

---

(١) السمعاني: الأنساب ١/ ٢٠٢- ٢٠٣.

(٢) السمعاني: الأنساب ٢/ ١٤٠.

(٣) د/ عصام عبد الرءوف: تاريخ الفكر الإسلامي ١٨٢، السمعاني: الأنساب ١/ ٣٠٥.

(٤) السمعاني: الأنساب ١/ ٢١٦، وفيات الأعيان ٤/ ٢٠٢، ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٢/ ١٧٧.

(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٧٢، السمعاني: المصدر السابق ١/ ٢١٦.

وقامت المساجد بدور كبير في ترويج العلوم المذهبية حيث قام أتباع كل فرقة بإلقاء علومهم على مريديهم، فكانت الدراسة مقتصرة على أتباع الفرقة والعلوم والمبادئ الخاصة بمذهبهم(١)، ولا شك أن هذه الخلافات المذهبية قد أثرت في الحياة الثقافية في المدينة، وقد اشتهرت جميع المساجد بقوة دروس العلم وكثرة المناظرات الدينية، ومن هذه المساجد: المسجد الجامع، ومسجد القفال بسكة القصادين(٢)، ومسجد الصاغة(٣)، كما وجد بقرى مرو مساجد كثيرة في خرق، وفرغول، وكمسان، وأندغن، وغير ذلك(٤).

وكان في كل جامع مكتبة حيث كان من عادة العلماء حينذاك أن يوقفوا كتبهم على الجامع ليستفيد منها طلاب العلم(٥)، وقد أدت المساجد في مرو رسالتها التعليمية بنجاح، وساهمت من خلال حلقات العلم ومجالس المناظرة في ازدهار الحياة الثقافية خلال العصر السلجوقي.

أيضًا من المؤسسات العلمية **(المدارس)**:

كثرت في مدينة مرو الكثير من المدارس التي فاقت شهرتها في السماء(٦)، ولم يقتصر بناء المدارس على سلاطين السلاجقة ووزرائهم؛ بل قام سكان المدينة الأثرياء ببناء الكثير منها، ومن الجدير بالذكر أن الخلافات المذهبية قد سيطرت على العملية التعليمية في المدارس، حيث قام أتباع كل فرقة بنشر مبادئهم

(١) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١٨٢.
(٢) السمعاني: الأنساب ١/ ٣٠٥.
(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/ ٣٦٢.
(٤) السمعاني: المصدر السابق ذكره ٢/ ٣٤٩، وجـ٥ ٩٤.
(٥) آدم متز: تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ١/ ٢٤٣.
(٦) فامبري: تاريخ بخارى ١٨٠.

obeikandl.com

ودحض مبادئ الفرق المخالفة لهم[١].

وكانت المدرسة تتكون من صحن مكشوف يحيط به أربعة إيوانات متعامدة على شكل قاعات ذات قباب، كما كانت تشتمل على أماكن مخصصة للدراسة فضلًا عن أماكن مخصصة لإقامة المدرسين والطلبة[٢]، وقد كثرت الأوقاف التي وقفت على المدارس في مرو لعمارتها وصرف رواتب الأساتذة والمدرسين والطلاب وتوفير كل حاجتهم من مأكل وملبس وأدوات دراسية[٣]، وكان يقوم بالتدريس في هذه المدارس مدرسون ومعيدون متخصصون في العلوم الدينية والأدبية التي كانت أساس الدراسة؛ لأن سائر العلوم العقلية كانت مكروهة لدى علماء المسلمين[٤].

ومن أشهر المدارس التي اشتهرت في مرو المدرسة العميدية التي ترجع إلى عميد خراسان محمد بن منصور النسوي الذي بناها ووقفها على أبي بكر بن المظفر السمعاني وأولاده وقد درس تاج الإسلام أبو سعد بهذه المدرسة، وكانت تحتوي على خزانة كتب[٥].

والمدرسة الخاقانية التي بناها الخاقان محمد بن سليمان المسوسي المعروف بأرسلان خان[٦]، وقد تولى التدريس بها أبو الحسن علي بن مودود بن الحسين

---

(١) د/ عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١٨٢.

(٢) أوقطاي أصلان: فنون الترك وعمائرهم ٤٦- ٤٧، زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في الإسلام ٥٠، أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي ٢٠٦.

(٣) النويري: نهاية الأرب ٢٦/ ٣٣٣، سعد زغلول عبد الحميد: العمارة والفنون في دولة الإسلام ٤١٢.

(٤) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة ٣٧٦- ٣٧٧.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم ٩/ ١٢٨، ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ١١٤.

(٦) السمعاني: الأنساب ٥/ ٦١٤.

openkandil.com

بن الحسن الكشاني، وهو إمام (فاضل) و(مناظر) (فقيه) تفقه على يديه جماعة كثيرة من أهل العلم، توفي بمرو سنة ٥٧٧هـ/ ١١٨١ م[١].

ومن مدارس مرو المدرسة التي تنسب إلى القاضي محمد بن الحسين الأرسابندي الحنفي قاضي مرو وهو من العلماء الأجلاء، سمع منه أبو سعد السمعاني، وكان أبو الفضل عبد الرحمن بن محمد بن أميرويه الكرماني إمام أصحاب أبي حنيفة تفقه على الأرسابندي، وقد اشتغل بالعلم ونشره وتكاثر لديه الفقهاء وطلاب العلم، وانتشر أصحابه في الآفاق، وكانت وفاته بمرو سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م[٢]، والمدرسة الخازنية التي تولى التدريس بها أبو عمرو المستوفي الذي كان فقيهًا مناظرًا[٣].

أيضًا من المدارس؛ المدرسة النظامية: شهدت مدينة مرو خلال العصر السلجوقي عصر رواج للعلوم المذهبية والأدبية وانطلاقًا للحركة المدرسية في العالم الإسلامي التي قادها الوزير نظام الملك الذي يعد بحق المؤسس الأول لنظام الجامعات في العالم[٤] بإنشائه لنظامية مرو التي بلغت درجة عظيمة من التنظيم والدقة، فكانت أول نوع من المؤسسات العلمية بمعناها الصحيح، حيث هيأت لمدرسيها وطلابها كل سبل الحياة من مسكن ومأكل وراتب شهري ثابت[٥].

وكان ذلك بدون شك بفضل الأوقاف الكثيرة التي وقفها الوزير نظام

---

(١) ناجي معروف: علماء النظاميات ١٠٢، بغداد ١٩٧٣ م.

(٢) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ٤/ ١١٤.

(٣) ناجي معروف: المرجع السابق ذكره ٩٧.

(٤) صادق نشأت ومصطفى حجازي: صفحات عن إيران ٧٢، القاهرة، ١٩٦٠ م.

(٥) إدوارد بروي: تاريخ حضارات العالم في العصور الوسطى ٣٣٩، ترجمة يوسف أسعد داغر-القاهرة ١٩٨٦ م.

obeikandl.com

الملك على هذه المدرسة، كما ساعدت في استمرارية العملية التعليمية بها وتقدمها في ذلك العصر[١]، ولم تقتصر الأوقاف على نظام الملك بل امتدت لتشمل أهل المدينة الأغنياء الذين قاموا برصد الكثير من الأوقاف لخدمة الحركة التعليمية، وكان يعين على الوقف شخص أمين يرعاه يسمى (ناظر الوقف) أو (متولي الوقف)[٢].

أما عن نظام الدراسة فقد انصب اهتمام نظام الملك ومن جاء بعده على اختيار أكفأ العلماء لينهضوا بالحركة العلمية[٣]، فكان لكل علم من العلوم مدرس متخصص يساعده معيد يقوم بإعادة الدرس وشرحه بعد فراغ المدرس من درسه[٤]، وكان منهج الدراسة يحتوي على القرآن والحديث والفقه على المذهب الشافعي، وعلم الكلام والنحو والبلاغة والعروض، ويتدرج المنهج من السهل إلى الصعب، وتبدأ الدراسة من الصباح إلى قرب الظهر، ثم تستأنف قبل صلاة المغرب وبعدها، وتنتظم في حلقات على شكل دائرة حول الأستاذ[٥].

ومن أمهر وأنبغ أساتذة المدرسة النظامية أبو المظفر السمعاني التميمي وحيد عصره، وقد وكل إليه أمر التدريس بعد دخوله مرو سنة ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥ م، وتحوله من مذهب أبي حنيفة إلى المذهب الشافعي وكان

(١) د/ أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة ٣٧٥، د/ شوقي ضيف: عصر الدول والإمارات ٥٢٣.

(٢) د/ أحمد كمال الدين حلمي: المرجع السابق ذكره ٣٧٦.

(٣) رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي ٦٨، ترجمة محمد هنداوي.

(٤) د/ عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ١٦٣، د/ عصام عبد الرءوف: تاريخ الفكر الإسلامي ١٨٥.

(٥) د/ محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق ٢٦٣.

لتحوله أثر كبير بالمدينة[١] وممن تفقه على يديه، وقام بالتدريس بالنظامية أيضًا أبو الفتح أسعد المهيمني ثم رحل إلى العراق ودرَّس بنظامية بغداد مرتين بعد الخمسمائة[٢].

كذلك أبو القاسم السمعاني كان إمامًا مفتيًا مناظرًا، تفقه على يد أخيه أبي بكر السمعاني وأخذ عنه العلم وتولى التدريس بالمدرسة النظامية، تُوُفِّيَ بمرو سنة ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م[٣]، وأيضًا عبد الله بن ميمون بن عبد الله المالكاني الكوفي قاضي أبيورد ونواحيها، تولى التدريس في نظامية مرو، وتدرج فيها حتى صار نائب أبو أسعد السمعاني، ثم عاد إلى أبيورد ومات بها سنة ٥٥١هـ/ ١١٥٦م[٤]، كما عين أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني أستاذًا لنظامية مرو ومدارسها بأمر من السلطان سنجر[٥].

ظلت نظامية مرو مقصد طلاب العلم والعلماء من مختلف البلاد، وممن قصدها أيضًا أبو المجد فخر أوربن شهفور بن أبي هاشم بن أحمد الرازي من أهل الري، كان فقيهًا فاضلًا قدم إلى مرو ودرس في نظاميتها وذلك في سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م، وأيضًا أبو سعيد بن أبي القاسم البوشنجي الذي أتى إلى مرو وسمع الأحاديث بها ومات سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤١م[٦].

ومما زاد من أهمية نظامية مرو تلك المكتبة التي ألحقت بها وكانت تحتوي

---

(١) ناجي معروف: علماء النظاميات ٦١ ، ٩٣، الأسنوي: طبقات الشافعية ٢/ ٢٩، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٤/ ٢٠٣.

(٢) السبكي: المصدر السابق ذكره ٤/ ٢٠٣.

(٣) ناجي معروف: المرجع السابق ذكره ٦٢.

(٤) ناجي معروف: المرجع السابق ذكره ٦٢- ٦٣.

(٥) الجويني: تاريخ جهانكشاي ٨٧.

(٦) السبكي: المصدر السابق ذكره ٤/ ٢٠٥- ٢٠٦.

على المخطوطات والمؤلفات النادرة في كل علم وفن[١].

وهناك عوامل ودوافع حملت نظام الملك على تأسيس المدارس النظَّامية وهو التصدي للمذاهب الخارجة على الدولة السلجوقية ورفع لواء الدفاع عن المذهب السني ولا شك أن نظام الملك قد قاوم المذهب الإسماعيلي بأقصى جهده[٢]، فقد أدرك منذ الوهلة الأولى أن الدعوة الباطنية لا يمكن مقاومتها إلَّا بدعوة مضادة تستخدم نفس الأساليب، ولذلك أنشأ المدارس النظَّامية ليخرج منها علماء يدافعون عن مذهب أهل السُّنَّة ويقارعون الباطنية الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان[٣]، وبالتالي كان العلم هو أحد الوسائل لمحاربة التشيع، وتوجيه الناس وجهة دينية ترضي أصحاب المذهب السُّني وتعمل على توحيد عقائدهم على المذهب الشافعي الأشعري بصفة خاصة؛ لأن نظام الملك كان شافعيًّا وبفضله أصبح لهذا المذهب صفة رسمية[٤] وقد هدف نظام الملك أيضًا من تأسيسه المدرسة النظَّامية إعداد موظفين يؤمنون بمذهب الدولة وقوانينها وأنظمتها ويعملون على نشر مبادئها وتثبيت سلطانها[٥].

ومما لا شك فيه أن المدرسة النظَّامية قد أدت الغرض من إنشائها كمؤسسة علمية وتنظيمية، كما زودت الجهاز الإداري للدولة بالموظفين الأكفاء وجعلت من المذهب الشافعي مذهبًا رسميًّا، كذلك رفعت لواء الدفاع

---

(١) عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة ٨٣.

(٢) محمد السعيد: دولة الإسماعيلية ٩٧.

(٣) نظام الملك: سياسة نامه ٧- ٨.

(٤) حسين أمين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي ٢٢٤، توفيق أحمد عبد الجواد: تاريخ العمارة في العصور المتوسطة الأوربية والإسلامية ١/ ٣٢٨.

(٥) هاملتون: دراسات في حضارة الإسلام ٣١، زكي محمد حسن: فنون الإسلام ٨٩، حسين أمين: تاريخ العراق ٢٢٤.

obeikandl.com

عن المذهب السُّني، وبذلك يعتبر العصر السلجوقي بداية عصر جديد في الازدهار المدرسي، إذ أصبح السلطان ورجال الدولة مولعين بتأسيس المدارس.

أيضًا من المؤسسات العلمية التي ازدهرت بها مدينة مرو ولعبت دورًا عظيمًا في ازدهار الحياة الثقافية خلال العصر السلجوقي[١] وقد حفلت مرو بالعديد من المكتبات الكبرى الملحقة بالمساجد حيث كان من عادة العلماء في مرو أن يوقفوا كتبهم على المساجد، كما ألحقت بالمدارس مكتبات تحوي كتبًا في شتى أنواع العلوم والآداب[٢].

فضلًا عن المكتبات الخاصة المملوكة للعلماء والأمراء وكبار رجال المدينة[٣] فقد حرص أهل مرو الأثرياء المهتمون بالعلم على إنشاء المكتبات الخاصة والعامة وجمعوا فيها أعدادًا ضخمة من الكتب والمجلدات في جميع أنواع العلوم في هذا العصر وفتحوا أبوابها للراغبين من طلاب العلم[٤]، وقد أغرت هذه المكتبات ياقوت الحموي أثناء زيارته لمرو بالإقامة بها ثلاث سنوات لجمع مادة كتابه معجم البلدان وفارقها مكرهًا لزحف التتار، وقد وصف مكتباتها في الدنيا[٥]، منها خزانتان في الجامع إحداهما يقال لها العزيزية، وقفها رجل يقال له: عزيز الدين أبو بكر عتيق الزنجاني، أو عتيق أبي بكر وكان فقاعيًّا للسلطان سنجر، وكان في أول أمره يبيع الفاكهة والريحان بسوق

(١) فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ ٨٠.

(٢) عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة ٨٣.

(٣) البيهقي: حكماء الإسلام ١٣٢ - ١٣٣.

(٤) القفطي: تاريخ الحكماء ٤١٦، تاريخ الفكر الإسلامي ١٩٠.

(٥) مرتضى راوندي: تاريخ اجتماعي إيران ٣٠٠، زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ١٠٤، ول ديورانت: قصة الحضارة ٢/ ١٧٠.

openkanar.com

مرو ثم صار شرابيًّا له وكان صاحب مكانة رفيعة منه[١].

وتعتبر المكتبة العزيزية من أشهر مكتبات مرو، فقد حوت مؤلفات عديدة وكبيرة في شتى مجالات العلوم وتقدر عددها بحوالي اثني عشر ألف مجلد أو ما يقاربها[٢] أما المكتبة الأخرى فيقال لها الكمالية: وبها خزانة شرف الملك المستوفي أبي سعد محمد بن منصور في مدرسته وقد مات المستوفي سنة ٢٩٤هـ/ ١١٠٠م، وكان يعتنق المذهب الحنفي[٣].

وخزانة نظام الملك الحسن بن إسحاق في مدرسته، وخزانتان للسمعانيين وخزانة أخرى في المدرسة العميدية وخزانة لمجد الملك أحد الوزراء المتأخرين بها والخزانة الخانوتية في مدرستها، والخزانة الضميرية في خانقاه مرو[٤] وقد سمح للعلماء وطلاب العلم بالاستفادة من هذه المكتبات فكانوا ينهلون من علومها مجانًا[٥] كما كانوا يستعيرون الكتب بسهولة، ومما يؤكد ذلك أن ياقوت الحموي كان لا يفارق منزله منها مائتا مجلد وأكثر بغير رهن مما مكنه من جمع مادة كتابيه (معجم البلدان) و(معجم الأدباء)[٦].

ومن الجدير بالذكر أن الخلافات المذهبية قد أثرت بشكل إيجابي في زيادة

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٥٠٧.

(٢) ياقوت الحموي: المصدر السابق ذكره ٤/ ٥٠٧، البيهقي: حكماء الإسلام ٦٨، لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية ٤٤٣- ٤٤٤.

(٣) ياقوت الحموي: المصدر السابق ذكره ٤/ ٥٠٧.

(٤) البيهقي: المصدر السابق ذكره ٦٨، ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب جـ ٤ ق ١/ ٤١٩.

(٥) ابن طيفور: كتاب بغداد ١٠٧، آدم متز الحضارة الإسلامية ٢٤٣.

(٦) Sergeant The Islamic city. Paris 1980 p. 73.

عدد المؤلفات الدينية بشكل لم يكن له مثيل[١] وكان للجدل والمناظرات التي قامت بين هذه الفرق أثر بعيد تجلى وبرز في المؤلفات التي خلفها رجال العلم من الشيعة والسُّنَّة[٢].

وقد ملئت مكتبات مرو في هذا العهد بثروة ضخمة من الكتب والمجلدات النادرة في شتى أنواع العلوم وبالتالي كانت هذه المكتبات أداة الثقافة ومنهلها العذب الذي أدى إلى ازدهار الحياة الثقافية في المدينة في العصر السلجوقي.

ثم ننتقل بالحديث عن العلوم النقلية والعقلية الموجودة في مدينة مرو حيث انقسمت العلوم إلى علوم نقلية وعلوم عقلية فالعلوم النقلية هي العلوم المنقولة عن السلف وأصلها من الكتاب والسُّنَّة وتشمل: علم التفسير، والفقه، والحديث، وعلم القراءات بالإضافة إلى العلوم اللغوية كعلم اللغة والنحو والأدب، بينما العلوم العقلية فهي التي تقوم بدراسة التاريخ والجغرافيا والطب والكيمياء وغيرها[٣] وهي العلوم التي يهتدي إليها الإنسان بفكره.

أولا: العلوم النقلية

١-علم القراءات

وهو جزء من علوم الدين التي تهتم بدراسة كيفية قراءة ألفاظ القرآن الكريم وذلك بتباين لهجات العرب والمسلمين من الشعوب المفتوحة مما أوجد

(١) قحطان الحديثي: مدن خراسان ٢٨٤- ٢٨٥.

(٢) د/ عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١٨٧.

(٣) ابن خلدون: المقدمة ٤٨٢- ٤٨٣، د/ محمد جمال الدين سرور: الحضارة الإسلامية في الشرق ١٩٥، د/ عصام عبد الرءوف: تاريخ الفكر الإسلامي ٢٠٠.

obeikandl.com

اختلافًا في النطق بحروف القرآن[١] لعدم وجود الشكل والنقط في الكتابة أول الأمر، ثم وُضعا في النصف الثاني من القرن الأول الهجري[٢]، ومن ثم اتفق العلماء على سبع قراءات[٣] وكان القصد من تنوعها التسهيل وأصبحت هذه القراءات علمًا مدونًا توضع فيه للمصنفات، ومن أشهر القراء في مرو أبو تغلب عبد الوهاب بن علي المعروف بأبي حنيفة الفارسي، كان حافظًا للقرآن، عارفًا بالقراءات[٤].

ومن أشهر المقرئين أيضًا أبو حامد محمد بن أحمد بن علي المقرئ الكركانجي الخوارزمي الذي رحل إلى الآفاق وهو من أشهر العلماء في علم القراءات وصنف فيها التصانيف ومات بمرو سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م[٥].

وكذلك الإمام محمد بن أحمد بن علي أبو نصر المروزي الذي كان إمامًا في علم القراءات، رحل إلى العديد من البلاد في طلب هذا العلم وصنف الكثير فيه، مات ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م[٦] وكان أبو سعد محمد بن علي بن محمد الحجري من مقرئي مرو البارزين وكان يعرف (بسنك أنداز) بمعنى المقرئ حسن الصوت بالقرآن، سمع منه أبو سعد السمعاني بروايته عن العسال، وأمالي ابن محمد الخلال، مات بمرو سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م[٧].

---

(١) د/ عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ١٦٩.

(٢) ناجي معروف: تاريخ الحضارة العربية ٢٠٥- ٢٠٦.

(٣) د/ علي حسني الخربوطلي: الحضارة الإسلامية ٣٦٥، د/ عصام الدين عبد الرءوف ٢٠١.

(٤) السمعاني: الأنساب ٥/ ٣٧٧.

(٥) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب ٣/ ٩٢- ٩٣، دار صادر-بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٦) ابن كثير البداية والنهاية ١٢/ ١٣٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٥/ ١٣٠.

(٧) ابن خلدون: المقدمة ٤٥٦.

obeikandl.com

٢-التفسير

إن كتاب الله العزيز غني عن التعريف وهو المصدر الأول للشريعة الإسلامية وقد نزل بلغة العرب فكانوا يفهمون آياته ومقاصده[١] ويدركون معانيه وبالتالي لم يكونوا بحاجة إلى تفسير القرآن.

لكن في أواخر القرن الثالث الهجري أصبح المسلمون في حاجة ملحة لتفسير القرآن؛ وذلك لأنهم بعدوا عن وقت نزول القرآن، ودخول شعوب غير عربية في الإسلام، وكان التفسير في البداية معتمدًا على النقل عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين[٢] فكانوا ينقلون رواياتهم في التفسير دون تعليق أو مناقشة أو إبداء للرأي أو إبراز فكرة جديدة[٣] وقد سمي هذا التفسير بالتفسير النقلي أو المأثور، ثم أتبعه التفسير بالرأي وهو تفسير القرآن بالاجتهاد، وكانوا يعبرون عن آرائهم في الروايات المنقولة عن السلف ويجتهدون في تفسير الآيات ويناقشون هذه الروايات ويعلقون عليها وذلك بعد معرفة المفسر للغة ومعاني الألفاظ ومعرفة الآيات وسبب نزولها ومعرفة الناسخ والمنسوخ[٤].

ومن الجدير بالذكر أن الخلافات المذهبية قد سيطرت على هذا العلم في مرو خلال العهد السلجوقي، فحاولت كل فرقة إثبات عقائدها من خلال تفسير القرآن من وجهة نظرها وبالتالي كثر عدد المؤلفات التي صنفها الشيعة

---

(١) ابن الأثير: المصدر السابق ذكره ١/ ٣٤٣.

(٢) د/ عصام عبد الرءوف، تاريخ الفكر الإسلامي ٢٠٢.

(٣) محمد حسين الذهبي، علم التفسير ٤٧ دار المعارف، القاهرة.

(٤) أحمد كمال الدين حلمي، السلاجقة ٣٧٨.

obeikandl.com

والسُّنَّة من الأشاعرة والمعتزلة[١] وغيرهم، ومن ثم صار علم التفسير من أهم العلوم الدينية في العصر السلجوقي الذي نال اهتمام علماء مدينة مرو وزاد إقبال الطلاب على دراسته[٢].

ومن أشهر علماء التفسير في مرو أبو عبد الله محمد بن أحمد المروزي الشافعي تلميذ القفال المروزي وقد صنف تفسير (المسعودي)، وأبو المظفر منصور بن محمد السمعاني صنف تفسير القرآن في ثلاثة مجلدات، مات سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م[٣] ومن كبار المفسرين أيضًا محمد بن الحسين بن علي الأزدي الزاغولي صنف كتاب (قيد الأوابد) في أكثر من أربعمائة مجلدة، وقد أقام واشتهر بمرو، مات سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٤م[٤].

٣-الفقه

هو العلم الذي يتناول القرآن والسُّنَّة لاستخراج الأحكام الدينية (العبادات) والدنيوية (المعاملات) فيدخل في الفقه تنظيم العبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج وتنظيم أمور الدنيا وهي إمَّا عقوبات أو مناكحات أو معاملات:

فقسم العقوبات: يتناول الجنايات والجرائم؛ كالقتل والسرقة ومتفرعاتها كالقصاص والحدود والديات.

وقسم المناكحات: يشتمل الزواج والطلاق، وما تفرع عنه كالعدة والنفقة والوصاية والإرث.

---

(١) الشوكاني، فتح القدير ١/ ١٤ بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦ م.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٤٤٩.

(٣) القزويني: التدوين في أخبار قزوين ٤/ ١١٩.

(٤) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب ١/ ١٤.

obeikandl.com

وقسم المعاملات[١]: ويتناول الأموال وما يتعلق بها من حقوق وعقود كأحكام البيوع والإجارة والكفالة والشركة ويدخل في الفقه أيضًا القوانين التي تنظم إدارة الدولة ودستورها وأمور الحرب.

وقد وضع الفقهاء قواعد الفقه بدقة وعناية؛ لكنهم اختلفوا في آرائهم الفقهية فنشأت المذاهب الفقهية الأربعة[٢] وهي:

١-مذهب الإمام أبى حنيفة[٣].

---

(١) ناجي معروف: تاريخ الحضارة الإسلامية ٢٠٦، عبد العزيز الدوري: تاريخ الحضارة العربية ٢٢٦.

(٢) د/ عصام عبد الرءوف، الحواضر الإسلامية الكبرى، ٢٥٢- ٢٥٣.

(٣) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي كوفي، فقيه أهل العراق، وإمام أصحاب الرأي، وقيل إنه من أبناء فارس، رأى أنسًا، وروى عن حماد بن أبي سليمان وعطاء وعاصم بن أبي النجود والزهري وقتادة وخلق، وعنه ابنه حماد ووكيع وعبد الرزاق وأبو يوسف القاضي ومحمد بن الحسن وزفر وخلائق.

قال العجلي: كان خزازًا يبيع الخزَّ، وقال ابن معين: كان ثقة لا يحدث من الحديث إلَّا بما يحفظه ولا يحدث بما لا يحفظه، وقال ابن المبارك: ما رأيت في الفقه مثله، وقال مكي بن إبراهيم: كان أعلم أهل زمانه، وما رأيت في الكوفيين أورع منه، وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، ولد سنة ٨٠هـ ومات سنة ١٥٠هـ وقيل: سنة ١٥١هـ وقيل: أيضًا سنة ١٥٣هـ.

انظر المزيد في: البداية والنهاية ١٠/ ١٠٧، تاريخ بغداد ١٣/ ٣٢٣، تذكرة الحفاظ ١/ ١٦٨، تهذيب الأسماء ٢/ ٢١٦، تهذيب التهذيب ١٠/ ٤٤٩، الجواهر المضيئة ١/ ٢٦، خلاصة تذهيب الكمال ٣٤٥، شذرات الذهب ١/ ٢٢٧، طبقات ابن سعد ٦/ ٢٥٦، طبقات الفقهاء ٨٦، طبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٣٤٢، العبر ١/ ٢١٤، اللباب ١/ ٣٦٠، مرآة الجنان ١/ ٣٠٩، مفتاح السعادة ٢/ ١٩٥، ميزان الاعتدال ٤/ ٢٦٥، النجوم الزاهرة ٢/ ١٢، وفيات الأعيان ٢/ ١٦٣.

obeikandl.com

٢-مذهب الإمام مالك[١].

٣-مذهب الإمام الشافعي[٢].

---

(١) هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري أبو عبد الله المدني؛ شيخ الأئمة وإمام دار الهجرة.
روى عن نافع ومحمد بن المنكدر وجعفر الصادق وحميد الطويل وخلق. وعنه الشافعي وخلائق جمعهم الخطيب في مجلد.
وقال ابن المديني: له نحو ألف حديث؛ وقال عبد الله بن أحمد: قلت لأبي: مَنْ أثبت أصحاب الزهري؟ قال: مالك أثبت في كل شيء.
وقال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر؛ وقال الشافعي: إذا جاء الأثر فمالك النجم. مات بالمدينة سنة ١٧٩هـ وهو ابن تسعين سنة.
انظر المزيد في: الأنساب ورقة ٤١أ، البداية والنهاية ١٠/ ١٧٤، تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٧، تهذيب الأسماء ٢/ ٧٥، تهذيب التهذيب ١٠/ ٥، جمهرة أنساب العرب ٤٣٥، حلية الأولياء ٦/ ٣١٣، خلاصة تذهيب الكمال ٣١٣، الديباج المذهب ١٧، الرسالة المستطرفة ١٣، شذرات الذهب ١/ ٢٨٩، صفوة الصفوة ٢/ ٩٩، طبقات ابن سعد ٥/ ٤٥، طبقات الفقهاء ٦٧، طبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٣٥، طبقات المفسرين للداودي ٢/ ٢٩٣، العبر ١/ ٢٧٢، الفهرست لابن النديم ١٩٨، اللباب ١/ ٥٥ و٣/ ٨٦، مرآة الجنان ١/ ٣٧٣، مروج الذهب ٣/ ٣٥٠، النجوم الزاهرة ٢/ ٩٦، وفيات الأعيان ١/ ٤٣٩.

(٢) هو الإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي المكي، نزيل مصر إمام الأئمة وقدوة الأمة، ولد بغزة سنة ١٥٠هـ وحمل إلى مكة وهو ابن سنتين، روى عن عمه محمد بن علي وأبي أسامة وسعيد بن سالم القداح وابن عيينة ومالك وابن علية وابن أبي فديك وخلق. وعنه ابنه أبو عثمان محمد والإمام أحمد بن حنبل وأبو ثور وأبو عبيد القاسم وأبو الطاهر بن السرح والمزني وحرملة بن يحيي والحسن بن محمد الزعفراني والربيع بن سليمان المرادي والربيع بن سليمان الجيزي وأبو الوليد المكي وأبو يعقوب البويطي ويونس ابن عبد الأعلى وخلق كثير، وقال الربيع بن سليمان: كان الشافعي يفتي وله خمس عشرة سنة وكان يحيي الليل إلى أن مات، وكان الحميدي يقول: حدثنا سيد الفقهاء الشافعي، مات سنة ٢٠٤هـ. =

openkanal.com

٤-مذهب الإمام أحمد بن حنبل[١].

وقد انتشرت المذاهب الفقهية الأربعة في العالم الإسلامي وراج في مدينة مرو في العهد السلجوقي مذهبان هما: الحنفي والشافعي. وقد حظي هذا العلم باهتمام السلاجقة، فكثر عدد المؤلفين الذين خلفوا لنا العديد من الكتب

= انظر المزيد في: إرشاد الأريب ٦/ ٣٦٧، الأنس الجليل ١/ ٢٩٤، البداية والنهاية ١٠/ ٢٥١، تاريخ بغداد ٢/ ٥٦، تاريخ الخميس ٢/ ٣٣٥، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٦١، ترتيب المدارك ٢/ ٣٨٢، تهذيب التهذيب ٩/ ٣٥، تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٤٤، حسن المحاضرة ١/ ٣٠٣، حلية الأولياء ٩/ ٦٣، خلاصة تذهيب الكمال ٢٧٧، الديباج المذهب ٢٢٧، الرسالة المستطرفة ١٧، شذرات الذهب ٢/ ٩، صفوة الصفوة ٢/ ٩٥، طبقات الحنابلة ١/ ٢٨٠، طبقات الفقهاء ٧١، طبقات القراء لابن الجزري ٢/ ٩٥، طبقات المفسرين للداودي ٣/ ٩٨، طبقات ابن هداية الله ١١، العبر ١/ ٣٤٣، الفهرست ٢٠٩، اللباب ٢/ ٥، مرآة الجنان ٢/ ١٣، النجوم الزاهرة ٢/ ١٧٦، الوافي بالوفيات ٢/ ١٧١، وفيات الأعيان.

(١) هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله المروزي ثم البغدادي الإمام الشهير صاحب (المسند) و(الزهد) وغير ذلك. ولد ببغداد سنة ١٦٤هـ ومات سنة ٢٤١هـ وطلب الحديث سنة ١٧٩هـ وطاف البلاد ودخل الكوفة والبصرة والحجاز واليمن والشام والجزيرة في طلب العلم. روى عن إبراهيم بن سعد وإسماعيل بن علية وبهز بن أسد وبشر بن المفضل وخلائق. وعنه البخاري ومسلم وأبو داود وإبراهيم الحربي وآخرون آخرهم أبو القاسم عبيد الله بن محمد البغوي. وكان من كبار الحفاظ الأئمة ومن أحبار هذه الأمة. قال وكيع وجعفر بن غياث: ما قدم الكوفة مثله. وقال ابن مهدي: هذا أعلم الناس بحديث سفيان الثوري.

انظر المزيد في: تاريخ بغداد ٤/ ٤١٢، تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٣١، تهذيب التهذيب ١/ ٧٢، حلية الأولياء ٩/ ١٦١، خلاصة تذهيب الكمال ١٠، الرسالة المستطرفة ١٨، شذرات الذهب ٢/ ٩٦، طبقات الحنابلة ١/ ٤، طبقات الفقهاء ٩١، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٧٠، العبر ١/ ٤٣٥، الفهرست ٢٢٩، مرآة الجنان ٢/ ١٣٢، النجوم الزاهرة ٢/ ٣٠٤، وفيات الأعيان ١/ ١٧.

الفقهية الخاصة بكل مذهب[١].

ومن أشهر فقهاء الشافعية في مرو في ذلك العصر أبو علي الحسين بن شعيب السنجي شيخ الشافعية في عصره وفقيه أهل مرو، وهو من تلاميذ أبي بكر القفال، تُوُفِّيَ حوالي سنة ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م[٢] و يعتبر السنجي أول من جمع في الفقه بين طريقتي خراسان والعراق[٣] وقد صنف كتاب المجموع الذي نقل عنه الغزالي في الوسيط[٤] وشرح الفروع لابن الحداد وشرح المختصر[٥] وكما شرح أيضًا كتاب التلخيص لأبي العباس ابن القاضي شرحًا كبيرًا[٦].

وكان يقال في عصره: الأئمة بخراسان ثلاثة: مكثر محقق ومقل محقق ومكثر غير محقق، وكان أبو علي السنجي هو المكثر المحقق[٧].

ومن كبار فقهاء مرو أيضًا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الفوراني المروزي أحد أئمة الشافعية، صنف في الأصول والخلاف والجدل والملل والنحل[٨] ومن كتبه (الإبانة عن أحكام فروع الديانة) وكتاب (العمدة)[٩] وكتاب (شروح فروع ابن الحداد)، تُوُفِّيَ بمرو سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م[١٠].

---

(١) ذبيح الله: تاريخ أدبيات، م٢، ٩٨٩.

(٢) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ٢/ ١٥٦، ابن العماد: شذرات الذهب ٣/ ٢٠٧- ١٠٨.

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ١٣٥، الزركلي: الأعلام ٢/ ٢٣٩.

(٤) الأسنوي: طبقات الشافعية ٢/ ٢٨.

(٥) الحسيني: طبقات الشافعية ٢٢٧.

(٦) السبكي: طبقات الشافعية ٤/ ٣٤٤- ٣٤٥، ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ٥٧.

(٧) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٢/ ١٣٥- ١٣٦.

(٨) ابن كثير: البداية والنهاية ١٢/ ٩٨، الزركلي: الأعلام ٣/ ٣٢٦.

(٩) الحسيني: طبقات الشافعية ٢٣٤، ابن العماد: شذرات الذهب ٣/ ٣٠٩.

(١٠) حاجي خليفة: كشف الظنون ٣/ ١٢٥٧.

openkandil.com

ومن أظهر علماء الفقه الإمام أبو الفضل محمد بن عبد الرزاق الماخواني، كان إمامًا فاضلًا متبحرًا، تفقه على يد أبي طاهر السنجي، مات سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م[١] والإمام أبي الظفر منصور السمعاني المروزي من أساطين الفقه، صنف (البرهان في الخلاف) جمع فيه ألف مسألة خلافية، تُوُفِّيَ سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م[٢].

ومن الفقهاء البارزين الحسين بن مسعود بن محمد البغوي المعروف بابن الفراء، كان من أساطين الفقه الشافعي، صنف (التهذيب في الفقه) و(الكفاية) و(ترجمة الأحكام) في الفروع، مات سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م[٣].

ومن كبار الفقهاء أيضًا علي بن مسكويه بن إبراهيم أبو الحسن المراغي، تفقه على يد الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وبرع في الفقه، مات بمرو سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م[٤] وأيضًا أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني، كان من ألمع فقهاء مرو، صنف (المناسك) و(الدعوات) و(تخفيف الصلاة) و(فضل يس)[٥].

وكان على رأس فقهاء الحنفية في مرو الإمام أبو نصر محمد بن عدنان بن عمرويه اللوكري[٦] كان فقيهًا حنفيًّا شهمًا، وجد وجاهة ومنزلة من السلاجقة، سمع أبا منصور السمعاني وأبا الفضل الجارودي وغيرهما، مات

(١) ابن العماد: شذرات الذهب ٣/ ٣١٠.
(٢) حاجي خليفة: المرجع السابق ذكره ١/ ٢٤٢.
(٣) أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر ٣/ ٢٢٩، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٥/ ١٦٦.
(٤) السيوطي: بغية الوعاة ٢/ ١٥٥.
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٦١- ٤٦٢.
(٦) ابن الأثير: اللباب ٣/ ١٣٥.

openkandil.com

بمرو سنة ٥٠٢هـ/ ١١٢٦م[١] ومحمد بن محمد بن يوسف الفاشاني أبو نصر المروزي الفقيه المفتي الحنفي، صنف (أخبار العلماء) مات سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م[٢]. والقاضي أبو بكر محمد بن الحسين بن محمد الأرسابندي وهو إمام فاضل مناظر، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمرو، صنف (الأصول في الفقه) ومختصر تقويم الأدلة للدبوسي[٣] والفقيه عبد الرحمن بن محمد بن أميرويه بن محمد بن إبراهيم ركن الدين أبو الفضل الكرماني، ولد بكرمان وقدم مرو وتفقه بها وظهر نبوغه حتى صار إمام الحنفية بخراسان وله (شرح الجامع الصغير) و(التجريد) وشرحه بكتاب سماه (الإيضاح)، مات بمرو سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م[٤].

صفوة القول: لقد خرج من مدينة مرو عدد كبير من علماء الفقه الذين خدموا العلم وأثروا في الأمصار الإسلامية بمصنفاتهم ومؤلفاتهم.

٤-الحديث

هو المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله العزيز[٥] وهو ما أثر عن الرسول ﷺ من قول وفعل[٦]، وينقسم الحديث إلى قسمين: المتن وهو نص الحديث، والسند ويقصد به الرواة الذين رووا الحديث حتى تنتهي الرواية بالمصدر الأصلي وهو الرسول أو الصحابي الذي روي عنه الحديث مباشرة، وكانت رواية الحديث طول القرن الأول الهجري شفوية وذلك لقول الرسول ﷺ:

---

(١) السمعاني: الأنساب ٥/ ١٤٥.

(٢) إسماعيل البغدادي: هدية العارفين ٢/ ٨٧.

(٣) السمعاني: المصدر السابق ذكره ١/ ٧٣.

(٤) الراوندي: راحة الصدور ٧٢.

(٥) د/ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ٣/ ٣٨٨.

(٦) د/ محمد بكر إسماعيل: الفقه الواضح من الكتاب والسنة، المجلد الأول ١٨.

openkanar.com

«**ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**» رواه البخاري في صحيحه، لكن الحديث تعرض للتحريف والوضع[١] فظهرت الحاجة إلى تدوين الحديث الصحيح بمنهج علمي يقوم على الاهتمام بالرواة وكيفية اتصال الأحاديث بالرسول ﷺ من حيث السند اتصالًا وانقطاعًا، ومن حيث المتن التأكد من صحة صدورها عن الرسول[٢].

وقد تبنى الأئمة الستة جمع الحديث وتدوينه وتصحيحه وهم: البخاري[٣]، ومسلم[٤]،

---

(١) د/ عصام عبد الرءوف: تاريخ الفكر الإسلامي ٢٢٠.

(٢) ذبيح الله: تاريخ أدبيات در إيران م١، ٧٢- ٧٣.

(٣) هو البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي مولاهم الحافظ صاحب الصحيح ولد سنة ١٩٤هـ ومات سنة ٢٥٦هـ. روى عن الإمام أحمد وإبراهيم بن المنذر وابن المديني وآدم بن إياس وقتيبة وخلق. وعنه مسلم والترمذي وإبراهيم الحربي وابن أبي الدنيا وأبو حاتم والمحاملي والفربري وخلق آخرهم وفاة ورواية للصحيح أبو طلحة منصور بن محمد النسفي. وقال بندار: حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بنيسابور، والدارمي بسمرقند، والبخاري ببخارى. وقال ابن عدي: كان ابن صاعد إذا ذكر البخاري يقول: الكبش النطاح. وللبخاري من المؤلفات (الجامع الصحيح)، و(التاريخ الكبير) و(الأدب المفرد) و(القراءة خلف الإمام). انظر المزيد في: البداية والنهاية ١١/ ٢٤، تاريخ بغداد ٢/ ٤، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٥٥، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٧، شذرات الذهب ٢/ ١٣٤، طبقات الحنابلة ١/ ٢٧١، طبقات السبكي ٢/ ٢١٢، طبقات المفسرين للداودي ٢/ ١٠٠، العبر ٢/ ١٢، الفهرست ١/ ٥٢١، مفتاح السعادة ٢/ ١٣٠، النجوم الزاهرة ٣/ ٢٥، هدية العارفين ٢/ ١٦، الوافي بالوفيات ٢/ ٢٠٦، وفيات الأعيان ١/ ٤٥٥.

(٤) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري أبو الحسن النيسابوري. روى عن قتيبة وعمر والناقد وابن المثنى وابن يسار وأحمد ويحيي وإسحاق وخلق. وعنه الترمذي وأبو عوانة وابن صاعد وخلق. مات سنة ٢٦١هـ له عدة مصنفات منها (التمييز) و(العلل) و(الوحدان) و(الأفراد) و(الأقران) وغيرهم. انظر المزيد في: تاريخ بغداد ٣/ ١٠٠، تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٨، تهذيب الأسماء واللغات ٢/ ٨٩، خلاصة تذهيب الكمال ٣٢٠، الرسالة المستطرفة١١، شذرات الذهب ٢/ ١٤٤، العبر ٢/ ٢٣، وفيات الأعيان ٢/ ٩١.

obeikandl.com

والنسائي[١]، وأبو داود[٢]، والترمذي[٣]، وابن ماجه[٤]. وكان صحيح

(١) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار الخراساني النسائي. القاضي الإمام الحافظ شيخ الإسلام أحد الأئمة المبرزين والحفاظ المتقنين والأعلام المشهورين، طاف البلاد وسمع من الخلائق. روى عنه ابن جوصا وابن السني وأبو سعيد ابن الأعرابي والطحاوي وأبو علي النيسابوري وابن عدي وابن يونس والعقيلي وابن الأخرم وأبو عوانة وآخرون. له عدة مصنفات منها (السنن الكبرى) و(الصغرى) و(خصائص علي) و(مسند علي) و(ومسند مالك) وغير ذلك ولد سنة ٢١٥هـ ومات سنة ٣٠٣هـ شهيدًا. انظر المزيد في: البداية والنهاية ١١/ ١٢٣، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٩٨، تهذيب التهذيب ١/ ٣٦، الرسالة المستطرفة ١١، شذرات الذهب ٢/ ٢٣٩، طبقات السبكي ٣/ ١٤، طبقات القراء لابن الجزري ١/ ٦١، العبر ٢/ ١٢٣، العقد الثمين ٣/ ٤٥.

(٢) هو أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود البصري الحافظ أحد الأعلام. روى عن ابن عون وأيمن بن نابل وهشام الدستوائي والثوري والحمادين وشعبة وابن المبارك وخلق. وعنه أحمد وابن المديني وبندار وإسحاق الكوسج والكديمي وخلق. وقال ابن المديني: ما رأيت أحفظ من أبي داود. وقال العجلي: ثقة كثير الحفظ، رحلت إليه فأصبته، مات قبل قدومي بيوم. وقال ابن سعد: ثقة كثير الحديث وربما غلط. مات سنة ٢٠٣هـ. انظر المزيد في: تاريخ بغداد ٩/ ٢٤، تذكرة الحفاظ ١/ ٣٥١، خلاصة تذهيب الكمال ١٢٨، الرسالة المستطرفة ٦١، شذرات الذهب ٢/ ١٢، العبر ١/ ٣٤٥، ميزان الاعتدال ٢/ ٢٠٣.

(٣) هو أبو عيسى الترمذي محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك السلمي صاحب الجامع والعلل. روى عنه محمد بن المنذر شكر والهيثم بن كليب وأبو العباس المحبوبي وخلق. ذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر. مات بترمذ سنة ٢٧٩هـ. انظر المزيد في: تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٣٣، تهذيب التهذيب ٩/ ٣٨٧، خلاصة تذهيب الكمال ٢٠٣، شذرات الذهب ٢/ ١٧٤، العبر ٢/ ٦٣٣، ميزان الاعتدال ٣/ ٦٧٨، النجوم الزاهرة ٣/ ٨٨، نكت الهميان ٢٦٤، وفيات الأعيان ١/ ٤٥٧.

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي مولاهم القزويني الحافظ صاحب كتاب (السنن) و(التفسير) سمع بخراسان العراق والحجاز ومصر والشام وغيرها. مات سنة ٢٨٣هـ روى عنه خلق منهم أبو الطيب البغدادي وإسحاق بن محمد القزويني وعلي بن سعيد العسكري=

البخاري من أشهر الكتب التي راجت في مرو، فكان المراوزة يحدثون به[١].

ومما لا شك فيه أن الخلافات المذهبية قد سيطرت أيضًا على علم الحديث، فحاولت كل فرقة جمع وتحقيق الأحاديث التي تبرر صحة مذهبها وتدعمه وتدحض آراء معارضيها من الفرق الأخرى.

وقد أخرجت مرو في ذلك العصر العديد من علماء الحديث الذين قاموا بدور بارز في هذا العلم والحفاظ على روايته. ومن أشهر المحدثين محمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن إسحاق أبو المظفر المروزي القرينيني، سكن بغداد وحدث بها عن زاهر بن أحمد السرخسي[٢] وأبو طاهر المخلص[٣] وغيرهما. كتب عنه أبو سعد السمعاني: وكان صدوقًا في رواية الحديث، مات سنة ٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م[٤] والإمام أبو الفتح ناصر بن الحسين بن محمد بن علي بن القاسم بن عمر بن يحيى الشريف العمري المروزي الشافعي المحدث، له تصانيف كثيرة منها (أماني في الحديث) مات سنة ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م[٥]. والإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران المروزي الفوراني روى الحديث عن أبي الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، وروى عنه أبو المظفر

= ثقة، متفق عليه، محتج به، له معرفة بالحديث وحفظ ومصنفات في السنن والتاريخ والتفسير. انظر المزيد في: البداية والنهاية ١١/ ٥٢، تاريخ قزوين ١٦٥، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٣٦، تهذيب التهذيب ٩/ ٥٣٠، خلاصة تذهيب الكمال ٣١٢، الرسالة المستطرفة ١٢، شذرات الذهب ٢/ ١٦٤.

(١) السبكي: طبقات الشافعية ٤/ ٣٠، التدوين في أخبار قزوين ٤/ ٧٦.

(٢) السبكي: طبقات الشافعية ٥/ ٣٥.

(٣) الخطيب: تاريخ بغداد ٢/ ٢٢٠.

(٤) الخطيب البغدادي تاريخ بغداد ٢/ ٢٢٠.

(٥) إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين ٢/ ٤٨٧.

obeikandl.com

عبد المنعم القشيري وغيره، مات سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م بمرو[١]. ومن كبار المحدثين أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني الذي جمع ألف حديث عن مائة شيخ[٢] وهي المعروفة بالأمالي[٣] وصنف في الحديث كتاب (الاستبصار لأصحاب الحديث) وهو مختصر في ثلاثة أبواب، فالباب الأول في الحث على السنة والجماعة، والثاني في فضل الحديث، والثالث في شجرة العلم[٤] وكتاب (منهاج أهل السنة)[٥] مات بمرو سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م وأيضًا الإمام الحسين ابن مسعود بن محمد الفراء أو ابن الفراء أبو محمد البغوي محدث، وله (شرح السنة) في الحديث و(مصابيح السنة) و(الجمع بين الصحيحين)، مات سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م[٦]. والإمام أبو محمد عبد الرحمن بن الجوباري البوبنجي المروزي المعروف بجوبيار يونيك، روى لنا (شرف أصحاب الحديث) لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب عن أبي محمد بن عبد الله بن أحمد السمرقندي الحافظ عن المصنع سمع منه السمعاني ولقاه بجوبار، مات بعد سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م[٧].

أيضًا ومن علماء الحديث البارزين أبو منصور الطيب بن أبي سعيد بن الطيب الخلال البنسارقاني من بنسارقان إحدى قرى مرو، كان صالحًا سمع

(١) ابن الأثير: اللباب ٢/ ٤٤٤.
(٢) ابن الأثير: المصدر السابق ذكره ١/ ١٣- ١٤.
(٣) الذهبي سير أعلام النبلاء ١٩/ ١١٦.
(٤) حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ١٧٣.
(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/ ٢١١.
(٦) الزركلي: الأعلام ٢/ ٢٥٩.
(٧) السمعاني: الأنساب ٢/ ١٠٦.

openkandil.com

الحديث ورواه، مات سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م[١] والإمام أبو المعالي عبد الله بن أحمد بن أحمد بن محمد الحلواني المروزي سمع الحديث عن أبي بكر بن علي بن خلف الشيرازي وسمع منه السمعاني ومات سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م[٢]. ومن كبار المحدثين أيضًا محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن علي الزاغوني حافظًا للحديث له كتاب (قيد الأوابد) وقد أقام واشتهر بمرو ومات سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م[٣].

والإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني الذي سافر في طلب الحديث[٤] إلى العديد من البلاد، فرحل إلى ما وراء النهر وبلاد الجبل وأصفهان والعراق والموصل والجزيرة والشام وغير ذلك من البلاد، والتقى بالعلماء وأخذ منهم وجالسهم وروى عنهم[٥] فكان وافر الهمة في طلب الحديث، فقد صنف معجمًا لشيوخه في عشر مجلدات كبار وصنف (الإسفار عن الأسفار) و(الإملاء والاستملاء) وكتاب (الأمالي) ومات بمرو سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م[٦].

كما كان الإمام محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الكشميهني أبو عبد الرحمن المروزي من كبار المحدثين بمرو، فقد حدث بصحيح مسلم عن

---

(١) ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب ١/ ١٨١.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١١/ ١٠٣.

(٣) الزركلي: الأعلام ٦/ ١٠١.

(٤) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات: تاريخ ابن الفرات م٤ ج١، ١١ بغداد ١٩٦٧م.

(٥) ابن الأثير: اللباب ١/ ١٤.

(٦) ابن النجار البغدادي: المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ١٩/ ١٧٢ - ١٧٣.

openkandil.com

الفراوي، مات بمرو سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م[١].

أيضًا من النساء المحدثات بمرو أم الكرام كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية، روت صحيح البخاري عن الكشميهني[٢] وعتبي الهلالية التي سمعت (الأربعين) التي جمعها الشيخ أبو بكر أحمد بن محمد النسوي، وروى عنها تلك (الأربعين) أبو عبد الله الخلوفي بمرو، وماتت بعد سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م[٣].

وخلاصة القول: اهتم علماء مدينة مرو بعلم الحديث؛ لأنه المصدر الثاني للتشريع ورحلوا في طلبه إلى العديد من البلاد للتأكد من صحة المتن والإسناد.

نقطة أخرى: أن مرو كانت قبلة الراغبين في طلب الحديث، فقد نزلها أبو الخطاب العليمي الدمشقي لطلب الحديث وسمع المشايخ وجمع شيئًا كثيرًا[٤] وأبو الحجاج يوسف بن محمد بن فارو الأندلسي، جاء مرو وسمع كثيرًا من الأحاديث بها، مات سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م[٥].

٥-علم الكلام

هو العلم الذي يبحث في العقائد على نمط منطقي وكانت مباحثه مندرجة في مباحث الفقه فكان البحث في الدين بأحكامه يسمى فقهًا، أما تسمية علم

(١) الذهبي: ذيل تاريخ بغداد ١٥/ ٦٨-بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
(٢) ابن حجر العسقلاني: فتح الباري ١/ ٩ دار الفكر-القاهرة ١٩٩٣م.
(٣) السمعاني: الأنساب ٥/ ٦٥٨.
(٤) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب ٤/ ٤٠٨.
(٥) السمعاني: الأنساب ١/ ١٦٨.

openkanal.com

الكلام قد ظهرت في عصر المأمون[١] وهناك أكثر من تسمية لهذا العلم: منها أنه علم الفقه الأكبر في مقابل علم الفقه الأصغر، ومنها علم التوحيد وعلم أصول الدين[٢]، وترجع تسمية هذا العلم بعلم الكلام؛ لأن أول خلاف وقع في كلام الله: هل هو مخلوق أم غير مخلوق؟ فتكلم فيه الناس[٣] وكان للمعتزلة الأثر البارز في تطور علم الكلام، فقد قالوا بخلق القرآن ونادوا بنفي الصفات مخالفين في ذلك أهل السنة فراجت المسائل الكلامية بين الفرق الدينية، وقد انبرى علماء الكلام للذب عن عقيدة المسلمين والدفاع عنها.

ومما لا شك أن علم الكلام قد بلغ كمال قوته في مرو أثناء العصر السلجوقي حيث راجت المسائل الكلامية بين الفرق المذهبية التي لم تكن قاصرة على السنة والشيعة بل كانت قائمة بين الفرق السنية فيما بينها، فكان الخلاف والجدل حول المسائل الكلامية بين هذه الفرق أشد ضراوة بينهم وبين الشيعة[٤] وكان الأشاعرة من أهم المذاهب الكلامية في هذا العصر، وكان النزاع بينهم وبين المعتزلة الذين كانوا يتفوقون عليهم في إثبات صحة أقوالهم[٥].

ومن أشهر علماء الكلام بمدينة مرو الإمام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين المروزي الخرقي، كان إمامًا عالمًا بأحكام علم الكلام وأقام على الإفتاء

(١) علي الشابي: مباحث في علم الكلام والفلسفة ١٠، القاهرة ١٩٧٧م.

(٢) علي الشابي: المرجع السابق ذكره ١٠- ١١.

(٣) السمعاني: الأنساب ٥/ ١٩٠.

(٤) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٢٤٣، القزويني: آثار البلاد ٣٧٦، الخونسكي: روضات الجنات ١٠٦- ١٠٧.

(٥) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة ٣٨٦- ٣٨٧.

obeikandl.com

والوعظ إلى أن مات سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م[١] ومن أبرز علماء الكلام أيضًا أبو الفتح ناصر، مناظر فاضل، له باع طويل في علم الكلام وقد خلَّف الكثير من المؤلفات وأهمها (هدية العارفين) مات سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧[٢].

٦-التصوف

التصوف منهج سلوكي يقوم على ركائز روحية ووجدانية تؤدي إلى صفاء القلب ونقاء السريرة[٣] بملازمة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والزهد في الدنيا، فيقول السبكي عن الصوفية: إنهم أهل الله سبحانه وتعالى وخاصته الذين ترتجى الرحمة بذكرهم وينزل الغيث بدعائهم[٤]. وقد تعددت الآراء عند مؤرخي الفكر الإسلامي حول حقيقة المصدر الذي اشتقت منه كلمة صوفية، فعزوا التسمية إلى الصُّفَّة وهي فناء ملحق بمسجد الرسول ﷺ بالمدينة المنورة، وانتسب بعض المسلمين إليه فعرفوا بأهل الصُّفَّة وقد امتازوا بالزهد والإعراض عن الدنيا والانقطاع للعبادة، والصوفة هم الذين كانوا يقومون على خدمة الكعبة في الجاهلية، والصوف نسبة إلى لبس الصوف والصفاء والصف أي صفاء القلوب[٥] فالتصوف إذًا طريقة للمعرفة قوامها المجاهدة التي تليها المشاهدة.

وقد ازدهر التصوف في مرو في العهد السلجوقي؛ وذلك لانتشار التعصب والمنازعات الدينية بين الفرق الإسلامية من سُنَّة وشيعة[٦] وقد

(١) الأسنوي: طبقات الشافعية ١/ ٤٨٣- ٤٨٤.

(٢) الأسنوي: المصدر السابق ذكره ١/ ٦٥.

(٣) أسعد السحمراتي: التصوف منشأه ومصطلحاته ٣٠ بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٤) السبكي: معيد النعم ومبيد النقم ١٧٢، القاهرة ١٩٧٤م.

(٥) السهروردي: عوارف المعارف ١/ ٤٥.

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١٠/ ٤٧٠.

obeikandl.com

استخدمت كل فرقة من هذه الفرق العلم والمعرفة كوسيلة للتفوق على الفرق المخالفة لها، وفي ظل هذه الظروف لم يتدخل المتصوفة بل التزموا الحياد مع كافة الفرق[١].

ومن العوامل التي ساعدت على ازدهار التصوف في مرو مظاهر البذخ والخلاعة التي كانت تميز حياة سلاطين السلاجقة وكبار رجال الدولة وتسلطهم على الخلفاء العباسيين، كما كان لبداوة السلاجقة وغلبة الصبغة القبلية عليهم دور بارز في ازدهار التصوف، فقد كانوا يعجبون بالمظاهر البراقة حيث راقهم مظاهر الصوفية وما يظهرونه من زهد وما يقومون به من ذكر، ومن ثم فقد حظي شيوخ الصوفية بالإجلال والتعظيم وارتفع شأنهم وعظم تأثيرهم في حياة الناس[٢]. وانتشرت المنشآت الصوفية من ربط وخانقاوات[٣] في مرو، وكان لهذه المنشآت نظام معماري خاص فهي تشتمل على الخلوات والجامع والمطبخ والحمام ومكان يرسم ضيافة الواردين[٤] وقد سُمي كبير الصوفية قطب أو شيخ الشيوخ وأتباعه بالمريدين أو الفقراء[٥].

هكذا ازدهر التصوف بمرو في العصر السلجوقي وسار سمة بارزة للحياة وظهر تأثيره واضحًا في الشعر حيث استعمل شعراء هذا العصر ألفاظًا ومصطلحات للصوفية فتوطدت الصلة بين الشعر والتصوف[٦] وأصبح التصوف علمًا مدونًا، له علماؤه الذين ينشرون مبادئ التصوف وتعاليمه

(١) قاسم غني: تاريخ التصوف في الإسلام ٦٦٦- ٦٦٧ ترجمة صادق نشأت-القاهرة ١٩٧٢.
(٢) حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي ٥٤٨.
(٣) أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة ٣/ ٩٢.
(٤) د/ عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ١٨٦ - ١٨٧.
(٥) السبكي: معيد النعم ١٧٦ - ١٧٨.
(٦) قاسم غني: تاريخ التصوف ٦٦٣- ٦٦٤.

ويدعون له.

ومن أشهر علماء التصوف في مرو الشيخ محمد بن محمد العالقاني المروزي الذي استوطن مدينة صور منذ عام ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م حتى مات بها، وسمع كتاب (الطبقات) لأبي عبد الرحمن السلمي[١].

والشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن علي الخياقي الصوفي من أهل مدينة خياق بمرو، كان شيخًا صالحًا سديد السيرة كثير العبادة، صحب المشايخ الكبار وسافر إلى بلاد الشام ومات بمرو سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م[٢]، وأيضًا من أشهر شيوخ التصوف الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الرحمن بن محمد المروزي الكشميهني كان إمام عصره في علم التصوف وللناس فيه محبة واعتقاد حسن، مات سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م[٣]. والشيخ يوسف بن أيوب بن يوسف بن الحسن الهمذاني أبو يعقوب كان زاهدًا متصوفًا، تفقه في بغداد ووعظ بها، ثم رحل إلى مرو وسكنها، وله عدة مصنفات في الصوفية منها (منازل السالكين) و(زينة الحياة) ومات سنة ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م[٤] والشيخ أبو سعد عبد الكريم السمعاني له في التصوف كتاب (عز العزة) وكتاب (سلوة الأحباب)[٥].

وقد عظم شأن الصوفي في مرو خلال العصر السلجوقي، فحرص سلاطين السلاجقة على زيارتهم ولقائهم[٦] والتبرك بهم فكان السلطان سنجر

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/ ٧.
(٢) السمعاني: الأنساب ٢/ ٣١٧.
(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ٥/ ٢٦١.
(٤) الزركلي: الأعلام ٨/ ٢١٩- ٢٢٠.
(٥) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٦١.
(٦) الراوندي: راحة الصدور ١٦٠- ١٦١.

obeikandl.com

حريصًا عل زيارة الشيخ قطب شالوسي في صومعته وارتداء خرقته[١].

وصفوة القول: إن الاضطربات السياسية والصراعات المذهبية التي عانى منه أهل مرو في ذلك العصر أدت -بما لا يدع مجالا للشك- إلى ازدهار التصوف هربًا من متاعب الحياة الدنيا، كما كان لميل السلاجقة إليهم واحترامهم كبير الأثر في ارتفاع شأنهم، فبرز منهم علماء عظماء في التصوف خلَّفوا مصنفات عظيمة، أثْرَت المكتبة الإسلامية وأصبح التصوف علمًا مدونًا له مؤلفاته وبالتالي أصبحت مرو من أكبر مراكز التصوف.

الثانية: العلوم اللغوية والأدبية

١ -علم اللغة

كانت اللغة الفارسية هي اللغة السائدة في مرو قبل الفتح الإسلامي، ولكن بعد الفتح الإسلامي تدريجيًّا أصبحت اللغة العربية أكثر انتشارًا وأصبحت اللغة الرسمية في مرو؛ وذلك لأن اللغة العربية هي لغة الإسلام فكان القرآن عربيًّا خالصًا وقد أقر إلى الأبد صفة الأولوية الدينية والأدبية للغة العربية[٢].

وقد أدى الفتح الإسلامي لمرو إلى إدخال تغيرات جوهرية على لغة الفرس فتغيرت الحروف التي كانت تكتب بها اللغة الفارسية وأصبحت تكتب بحروف عربية، كما انتقلت إلى اللغة الفارسية آلاف من المفردات

---

(١) محمد بن حسن بن أسفنديار: تاريخ طبرستان ١٣١- ١٣٢ ترجمة أحمد أبو المجد هلال، القاهرة ١٩٩٧م.

(٢) بطروشوفسكي: الإسلام في إيران ٧٧- ٧٨، ترجمة السباعي محمد السباعي، دار الثقافة، بدون تاريخ.

obeikandl.com

العربية التي أصحبت تشكل قسمًا جوهريًّا من لغة الفرس[١].

وفي القرن الرابع الهجري أصبحت اللغة الفارسية شريكة للغة العربية[٢] ثم صارت لغة الدولة الرسمية في عهد السامانيين وظلت هكذا في عهد الغزنويين والسلاجقة[٣] ولما جلس آلب أرسلان على العرش أصدر أوامره بأن تكون لغة الكتابة في الدواوين بالفارسية فقطعت هذه اللغة شوطًا كبيرًا في طريق الرقي والكمال[٤].

ورغم ذلك ظلت اللغة العربية منتشرة في مرو خلال هذا العصر، فكان بيت السمعاني التميمي من أشهر البيوتات العربية الذائعة الصيت في مرو وخارجها، فقد اشتهر بمن أخرجهم من الرجال البارزين في العلم ومناصب التدريس والقضاء والإفتاء، وكان محمد بن منصور بن عبد الجبار التميمي المروزي -والد تاج الإسلام أبي بكر أبي المظفر السمعاني- معتنيًا باللغة وصنف كتاب (التهذيب في اللغة)[٥].

ومن أشهر علماء اللغة بمرو علي بن مسكويه بن إبراهيم أبو الحسن المراغي كان بارعًا في علم اللغة، مات سنة ٥١٦ هـ/ ١١٢٢م بمرو، ومحمد ابن عزيز العارض أبو القاسم الخوارزمي شمس المشرق، كان من أفاضل

---

(١) محمد عبد السلام كفافي: أدب الفرس وحضارتهم ٩- ١٠.

(٢) Frye Islamic Iran and centarl Area (6- 12C enturies) London,1979 , p.131

(٣) أحمد محمود السادات: تاريخ الترك في شبه القارة الهندي ٢/ ٣٥٩، د/ حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي ٦٩، القاهرة ١٩٦٨م.

(٤) د/ أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة ٢٥٠.

(٥) القفطي: إنباه الرواة ٣/ ٢١٦، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م.

عصره في علم اللغة رحل إلى مرو ومات بها سنة ٥٢١ هـ/ ١١٢٧م[١].

كما كان الحسن بن علي بن محمد بن إبراهيم القطان أبو علي المروزي البخاري الأصل من كبار اللغويين في عصره، مات بمرو سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م[٢]، وكان أيضًا الإمام أبو عبد الله محمد بن الحسين المروزي الذي كتب عن علم اللغة في موسوعته (قيد الأوابد) مات سنة ٥٥٩هـ/ ١٢٦٠م[٣].

٢- علم النحو

هو معرفة كيفية التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقًا، بمقاييس مستنبطة من استقرار كلام العرب وقوانين مبنية عليه[٤] أي إن علم النحو هو علم القواعد التي تضبط الكلام وذلك لنطق اللغة نطقًا صحيحًا.

ومن أشهر علماء النحو في مرو محمود بن جرير الضبي الأصبهاني أبو مضر النحوي، كان فريد عصره في علم النحو، توفي عام ٥٠٧هـ/ ١١٧٤م بمرو[٥]، والإمام أحمد بن محمد بن القاسم بن خذيو أبو رشاد الأخسيكني الملقب بذي الفضائل، قدم مرو وسكنها إلى أن مات بها سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م وكان من أئمة النحويين[٦].

أيضًا من كبار النحويين أيضًا أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد الأنصاري

---

(١) السيوطي: بغية الوعاة ٢/ ٢٧٩.

(٢) البيهقي: لباب الأنساب ١/ ٦١.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٩٣.

(٤) السكاكي: مفتاح العلوم ٧٥، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٥) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ١١/ ٥٩- ٦٠، القفطي: إنباه الرواة ١/ ١٣٢.

(٦) القفطي: المصدر السابق ذكره ١/ ١٣٢.

openkandil.com

المروزي البلنسي الأصل، كان من أشهر علماء عصره في علم النحو، فكان بارعًا في فهم أغراض أهله متحققًا بكتاب سيبويه[١]، والإمام محمد بن سعد ابن محمد الديباجي أبو الفتح المروزي النحوي ابن النحوي، كان شيخًا جليلًا عالمًا حَسَن العشرة، أخذ النحو عن والده، وشرح المفصل، ولد سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م ومات سنة ٦٠٩ هـ/ ١٢١٢م[٢].

٣-الأدب

نهضت مرو أثناء العهد السلجوقي نهضة أدبية واسعة ذات ألوان متعددة ما بين نثر وشعر، وكتب كثير من الأدباء باللغتين العربية والفارسية[٣]، وقد بلغ النثر قمة تطوره في مرو خلال العصر السلجوقي لاتخاذه أسلوبًا جديدًا هو أسلوب النثر الفني المتكلف[٤]، حيث صب الكتاب أفكارهم في قوالب جميلة من الألفاظ المزخرفة والمحسنات والتشبيهات والاستعارات والكنايات وما شابهها، كما كثرت الاستشهادات المأخوذة عن النظم العربي، والاستدلال بالآيات القرآنية الشريفة وضرب الأمثال وإيراد الحكايات العربية[٥]، وقد بلغ اعتقاد الكتاب خلال هذا العصر أن النثر البسيط البعيد عن التكلف نثر ركيك

(١) السيوطي: بغية الوعاة ١/ ٣٦٧.

(٢) الذهبي: ذيل تاريخ بغداد ١٥/ ٢٩.

(٣)رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسي ٩٣، دار الفكر العربي، القاهرة ١٣٦٦ هـ/ ١٩٤٧م، عبد العزيز مصطفى بقوش: تطور النثر الفارسي في إيران والهند ١٣ دار الثقافة العربية، القاهرة ١٩٨٦م.

(٤) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة ٢٥٧، على الشابي: الأدب الفارسي في العصر الغزنوي ٣٥٩، تونس ١٩٦٥م.

(٥) علي الشابي: المرجع السابق ذكره ٣٥٩، عبد العزيز مصطفى بقوش ١٨.

openkanal.com

لا جدوى منه[١]، ولم يقتصر هذا الاعتقاد على الكتاب فقط بل شمل أهالي مرو وحكامها الذين راقتهم هذه الزخارف واستحسنتها أذواقهم[٢] فأكثر الكُتَّاب منها في آثارهم ومن ثَم عبر النثر عن كافة الموضوعات، ومن أهم هذه الموضوعات ظهور مؤلفات عرفانية نثرية خاصة بالصوفية[٣]، كما راجت في المدينة سوق المناقشات المذهبية، فكان الصراع على أشده بين السنة والشيعة والسنة أنفسهم (الحنفية والشافعية) وحاول كل فريق إثبات وجهة نظره ومهاجمة الفرق الأخرى، فكتب بعضهم كتبًا في التفاسير الدينية والمذهبية[٤].

كذلك أُلِّفت عدة كتب في التاريخ، والخاص من بينها كتاب (سياست نامه) الذي ألفه الوزير نظام الملك وزير ألب أرسلان وملكشاه[٥] وتناول فيه الآداب العامة والنظم الملكية وسير الملوك والعظماء، ومن هذه الوجهة يعتبر الكتاب كتابًا في التاريخ والسياسة والاجتماع[٦] ومن موضوعات النثر أيضًا المنشآت والرسائل وهي نوعين: **الأولى**: تكتب في شئون الدولة، **والثانية**: إخوانية ممن لم يتولوا مناصب رسمية، بل كانوا من عامة المشتغلين بالأدب[٧]، وممن قام بالعمل في ديوان السلاجقة مؤيد الملك منتخب الدين بديع علي بن أحمد الكاتب الجويني الذي كتب مجموعة الرسائل التي عرفت بعتبة الكتبة،

---

(١) عبد العزيز بقوش: المرجع السابق ذكره ١٨.

(٢) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق ١٩٧- ١٩٨.

(٣) د/ أحمد كمال الدين حلمي، السلاجقة: ٦٠.

(٤) د/ أحمد كمال الدين حلمي، المرجع السابق: ٦٣- ٦٤.

(٥) إحسان عباس: عهد أزدشير، تهران ١٣٤٨هـ ١٦٨- ١٦٩، نظام الملك: سياست نامه ١١- ١٥.

(٦) بطروشوفسكي: الإسلام في إيران ١٥٧، طه ندا: تاريخ الحضارة الإسلامية ١٤٥-بيروت ١٩٧٦م.

(٧) مصطفى الشكعة: بديع الزمان الهمذاني ٦٧- ٦٨ القاهرة ١٩٥٩م.

وكان منتخب الدين صاحب ديوان الرسائل في عهد السلطان سنجر وقد دونت هذه المجموعة ما بين ٥٢٨- ٥٤٨ هـ/ ١١٣٣- ١١٥٣م وكان هدفها كيفية تعلم الكتابة والإنشاء[١].

كما عني أدباء مرو بسرد القصص القومية والملاحم الشعبية التي تصور البطولات الفارسية وتمجد سلوك الفرس وتحيي أمجادهم القديمة، وكان يطلق على هذه الملاحم اسم (الشاهنامه) وقد حظيت بمكانة عظيمة في مرو، فهي سجل لتاريخ أهلها منذ أقدم العصور، وكان للمدينة السبق في شعر الشاهنامه[٢] التي كتبها المسعودي المروزي أواخر القرن الثالث الهجري[٣].

ومن أشهر أدباء مرو أبو حفص عمر بن محمد بن الحسن بن إبراهيم الفرغولي، ولد بدهستان ونشأ بجرجان وسكن مرو، برع في الأدب وتوفى بها[٤]، ومن أئمة الأدب أيضًا أحمد بن محمد بن القاسم بن أحمد بن خذيو أبو رشاد ذو الفضائل الأخسيكني، كان أديبًا بارعًا من الكتاب المترسلين في دواوين السلاطين، مات في مرو[٥].

كما كان أبو الحسن بن أبي علي المنتخب من أهل مرو كاتبًا فصيح العبارة بليغًا في غاية الحسن، اجتمعت فيه أسباب المنادمة والكتابة وصحبة الملوك، ومن مؤلفاته (تعلة المشتاق إلى ساكني العراق) مات سنة

(١) محمد عوفي: لباب الألباب ١/ ٧٨- ٧٩، ليدن ١٩٠٦م.

(٢) طه ندا: دراسات في الشاهنامه ٥٨ الإسكندرية ١٩٥٤م، على الشابي: الأدب الفارسي ١١٠، السباعي محمد السباعي: النثر الفارسي ٤٦.

(٣) د/ طه ندا: المرجع السابق ذكره ٥٨.

(٤) ابن الأثير: اللباب ٢/ ٤٢٣.

(٥) الزركلي: الأعلام ١/ ٢١٥.

٥٣٦هـ/ ١١٤١م[١].

أما الشعر فهو كلام موزون[٢] وهو لسان الأمة المعبر عن آمالها وآلامها فهو كالكائن الحي ينمو في وجدان الشعب ومع نمو فكر الأمة فلا يمكن فصله من روح الشعب وطبيعته[٣]، وقد حظي الشعر والشعراء على اهتمام كبير من قبل سلاطين السلاجقة حتى أصبحت مرو مركزًا أدبيًّا هامًّا، ولاسيما في عهد السلطان سنجر[٤] الذي ازدان بلاطه بالعديد من الشعراء وكان الشعر في بداية العصر السلجوقي يتميز بمحاكاة الشعر الغزنوي ثم نجح شعراء السلاجقة في ابتكار أساليب شعرية جديدة تعد سمة بارزة لهؤلاء الشعراء[٥] وكانت هذه الأساليب انعكاسًا لمضامين الشعر العربي وأفكاره وأسلوبه[٦] كذلك اتسعت موضوعات الشعر الفارسي واتجهت إلى أبسط الأساليب وأقربها إلى الطبيعية، كما ركز شعراء السلاجقة أيضًا على لغة التخاطب والحوار وسهولة القصائد وسلاستها[٧]، وقد تعددت موضوعات الشعر في المدينة في ذلك العصر، فقد طرق الشعراء أبواب المدح والهجاء والوعظ والحكمة والمسائل العرفانية والغزل[٨] وكان المديح أهم هذه الموضوعات الشعرية التي راجت في المدينة حيث أقبل الشعراء[٩] عليه لينالوا العطاء من

(١) ياقوت الحموي: معجم الأدباء ١٥/ ٥٨- ٥٩.
(٢) السكاكي: مفتاح العلوم ٥١٥.
(٣) عباس إقبال: الوزارة في عهد السلاجقة ٤٣٨.
(٤) السكاكي: المصدر السابق ذكره ٥١٥.
(٥) ذبيح الله: تاريخ أدبيات در إيران م٢، ٢٩٠- ٢٩١.
(٦) مصطفى الشكعة: الأدب في موكب الحضارة الإسلامية: ١٥٩- ١٦٠.
(٧) ذبيح الله: المرجع السابق ذكره م٢، ٣٣٣.
(٨) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة ٢٩١- ٢٩٢.
(٩) محمد محمدي: الأدب الفارسي، ١٧٨ – ٢٠٤، بيروت ١٩٦٧م.

Obeikandl.com

قبل السلاجقة[١]، وكان من كبار الشعراء في مرو المعزي وهو ابن عبد الملك البرهاني بلبل الملكشاهي وأمير الشعراء في بلاط السلطان سنجر[٢]، وكان المعزي من أعذب شعراء الفرس قولًا وأجملهم إنشادًا، كما امتاز شعره بالفصاحة[٣]، ووصلت أشعاره إلى خمسة عشر ألف بيت، وله أيضًا ديوان يبلغ حوالي ثمانية آلاف بيت من قصائد وغزليات ورباعيات وامتدح في قصائده السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك والسلطان سنجر[٤].

وسبب وفاة المعزي أن السلطان سنجر أطلق سهمه ذات يوم فأخطأ فأصابت رميته المعزي فجرح جرحًا مميتًا، وقال المعزي بعد هذه الإصابة:

المنة لله وحده..فإني بسهم الأمير..لم أقتل بغير ذنب كبير.

وتوفى الشاعر المعزي متأثرًا بجراحه سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م[٥]، ومن أشهر شعراء مرو أيضًا أديب صابر وهو شهاب الدين بن إسماعيل الترمذي، من شعراء السلطان سنجر، وامتازت أشعاره بالرقة والجودة والفصاحة، كما كان له غزل رقيق فاق به بعض معاصريه، وقد جرت بينه وبين شعراء عصره مناظرات ومنهم الوطواط[٦]، وتوفى أديب صابر بعدما أرسله السلطان سنجر إلى خوارزم يستطلع وجهة عدوه (أتسز) في الحرب لكن أتسز كشف أمره فأمر

(١) ذبيح الله: تاريخ أدبيات در إيران م٢، ٢٩٧.

(٢) جرانفيل براون: تاريخ الأدب في إيران ٤١٣، ترجمة الشواربي، مطبعة السعادة، مصر ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م.

(٣) جرانفيل براون: المرجع السابق ذكره ٤١٣.

(٤) رضا شفق: المرجع السابق ٩٠- ٩١.

(٥) رضا زاده: تاريخ الأدب الفارسي ٩٠- ٩١، براون: المرجع السابق ذكره ٤١٤- ٤١٥.

(٦) رضا زاده: المرجع السابق ذكره ١١١، أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة ٣٢٦.

openkandil.com

بقتله سنة ٥٤٦ هـ/ ١١٥١م[١].

كما يعتبر الشاعر محمود بن علي سمائي المروزي من كبار شعراء العهد السلجوقي، فقد أطرب السلطان سنجر بشعره الغزلي، فكان شعره جيدًا يشتمل على مضامين لطيفة ومعان بديعة، مات بعد النصف الثاني من القرن السادس الهجري[٢]، كذلك كان الشاعر أثير الدين شرف الحكماء فتوجي المروزي من شعراء السلطان سنجر، وامتازت أشعاره بالرقة والسلاسة وكانت غزلياته جيدة[٣].

كما تعد الشاعرة مهستي من أبرز شعراء السلطان سنجر، وقد نظمت شعرًا يتسم بالصراحة في التعبير عن عواطفها[٤]، ووجدت مهستي الحظوة عند السلطان سنجر وذلك لسلامة طبعها ورقة شاعريتها، وحضور بديهتها، ومما يعد مصداقًا لذلك أنه ذات يوم كان الثلج غزر هبوطه ذات يوم فسألها السلطان عن رأيها في الثلج فقالت على البديهة ما ترجمته[٥]:

أيها الملك ... أسرع الفلك غرس السعادة لك.

ومن الشعراء المشهورين تاج الملوك علي بن مرادويج الذي عاش في كنف السلطان سنجر في مرو، وتزوج من أخت السلطان[٦] كان بارعًا في الشعر وبلغت أشعاره من المقطوعات والرباعيات تتجاوز أكثر من مجلد[٧]، ومن

(١) رضا زاده: المرجع السابق ذكره ١١١، براون: المرجع السابق ذكره ٣٨٥.
(٢) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة ٣٤٥- ٣٤٦.
(٣) محمد عوفي: لباب الألباب ٢/ ١٤٨- ١٥٠.
(٤) د/ شيرين عبد النعيم حسنين: نساء شهيرات في السياسة ٦٥.
(٥) د/ شيرين عبد النعيم: المرجع السابق ذكره ٦٥- ٦٦.
(٦) محمد بن إسفنديار: تاريخ طبرستان ١١٤، ترجمة أحمد أبو المجد هلال ٤.
(٧) محمد بن إسفنديار: المرجع السابق ذكره ٣٦٣.

obeikandl.com

أشهر شعراء مرو أوحد الدين محمد الأنوري الذي ذاعت شهرته في حياة السلطان سنجر، وكان الأنوري ممن يحيطون بدقائق اللغة وغوامضها كما كان من أعظم شعراء القصيدة في عصره، ويشهد له بطول الباع في اللغتين الفارسية والعربية[١]، وقد اصطحبه السلطان سنجر في حملته الثانية على خوارزم سنة ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، حتى يقضي على عصيان أتسز وحاصر عاصمتها هزاراسب، عندئذ أنشد الأنوري رباعية تناسب الموقف وسجلها على سهم ثم وجهه إلى معسكر أتسز وهي:

أيها المليك حسبك ملك الأرض لك

وكانت وفاته ما بين سنة ٥٨٥ - ٥٨٧هـ/ ١١٨٩ - ١١٩١م.

صفوة القول: شهدت مرو خلال العصر السلجوقي نهضة أدبية واسعة شملت النثر والشعر فقد أنجبت مرو نخبة من الأدباء والشعراء الذين حظوا بشهرة واسعة وخلَّفوا لنا مؤلفات عظيمة.

ثالثًا: العلوم العقلية

علم التاريخ

وهو من العلوم التي لاقت رواجًا كبيرًا في مدينة مرو خلال العصر السلجوقي، ومن كبار المؤرخين أبو بكر السمعاني الذي برع في علم التاريخ والأنساب مات سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م[٢].

ومن أبرز مؤرخي مرو أيضًا أبو علي الحسن بن علي بن محمد المروزي، له

(١) محمد بن إسحاق: سنخوران إيران ٢٨٥، رضا زاده شفق، تاريخ الأدب الفارسي ٩٣.
(٢) الذهبي: العبر ٢/ ٣٩٦.

obeikandl.com

كتاب (الدوحة في الأنساب)[١] كما ألف كتابًا في نسب أبي طالب، مات سنة ٤٥٨هـ/ ١١٥٣م[٢].

كذلك يعد أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني من أشهر مؤرخي مرو في العهد السلجوقي، ومن أهم مؤلفاته كتاب (الأنساب)[٣] نحو ثمانية مجلدات اختصره ابن الأثير في كتاب (اللباب في تهذيب الأنساب) في ثلاثة مجلدات، كما اختصره السيوطي في (لب اللباب)[٤]، كما ألف السمعاني (ذيل تاريخ بغداد) لأبي بكر الخطيب في خمسة عشر مجلَّدًا[٥]، ثم جاء عماد الدين أبو عبد الله بن محمد بن حامد الكاتب وألف ذيلًا على ذيل السمعاني وذكر ما أغفله وسماه (السيل على الذيل) وهو في ثلاثة مجلدات[٦]، كذلك ألف السمعاني كتاب (تاريخ مرو) في عشرين مجلدًا[٧].

والخلاصة: لقد تنوعت الكتابة التاريخية في مرو في العصر السلجوقي في التاريخ والأنساب والسير والتراجم والمدن.

٢- علم الجغرافيا

هو علم تقويم البلدان والجغرافيا هي كلمة يونانية تعني وصف الأرض بما فيها من تضاريس وأجواء[٨]، وقد نال علم الجغرافيا اهتمامًا كبيرًا في مرو

(١) البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام ١٥٧، الزركلي ٢/ ٢٠٢.
(٢) السيوطي: بغية الوعاة ١/ ٥١٣.
(٣) ابن غازي الأزدي: أخبار الدولة المنقطعة ٢٩٠.
(٤) السمعاني: الأنساب ١/ ٩، جورجي زيدان: أدب اللغة العربية ٣/ ٧٤- ٧٥.
(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣/ ٢١٠، الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢١٠.
(٦) حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٢٨٨.
(٧) حاجي خليفة: المرجع السابق ١/ ٣٠٣.
(٨) د/ عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة ٢٣١.

obeikandl.com

فقد حفلت بعدد من الجغرافيين والرحالة.

ومن كبار الجغرافيين بها أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني المروزي الذي قام برحلة استغرقت سبع سنوات[١] ٤٣٧ - ٤٤٤هـ/ ١٠٤٥ - ١٠٥٢م، مبتدئًا بمرو مارًّا بأذربيجان وأرمينية والشام وفلسطين ومصر والحجاز ونجد وجنوبي العراق، ثم عاد على إيران ومنها لبلخ[٢]، وقد دون ناصر خسرو ما شاهده في هذه البلاد في كتابه (سفر نامه)[٣]، كما اشتهر أبو سعد عبد الكريم السمعاني برحلاته العديدة في كثير من بلدان المشرق الإسلامي مما مكنه من تأليف كتابه (معجم البلدان) وأيضًا كتاب (الإسفار عن الأسفار)[٤].

٣- الفلسفة

كلمة يونانية ومعناها محبة الحكمة، فهي مطالعة عقيدة خالصة للوجود عن طريق الاستدلال والمنطق، وقد شهدت مرو خلال العصر السلجوقي حركة فلسفية بارزة، وكان من أشهر الفلاسفة قطب الزمان محمد بن أبي طاهر الطبسي المروزي، وهو أحد تلامذة الأديب أبي العباس، وكان والده من حكماء مرو، وكان قطب الزمان بارعًا في علوم الحكمة وذاع صيته في مرو ومات سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م[٥].

كما كان أبو العباس فضل بن محمد اللوكري المروزي أكبر رواد هذه

(١) عبد الله رازي: تاريخ كامل إيران ١٩٥.

(٢) زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ٥٦.

(٣) حاجي خليفة: كشف الظنون ٢/ ٩٩١.

(٤) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ١/ ١٨١ - ١٨٣.

(٥) البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام ١٢٨ - ١٢٩.

obeikandl.com

الحركة وهو تلميذ بهمن أحد تلامذة ابن سينا، كما تتلمذ علي يديه عدد كبير من العلماء والفلاسفة في هذا العصر، عنه انتشرت علوم الحكمة بخراسان، وله الكثير من المؤلفات أهمها (بيان الحق بضمان الصدق) وله أيضًا جلساته ومختصراته ومحاوراته[١].

كذلك أيضًا كان الحسن بن علي بن محمد القطان أبو على عين الزمان المروزي بارعًا في الحكمة، وهو من تلامذة أبي العباس اللوكري، مات سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م[٢].

٤- علم الفلك

ويطلق عليه علم الهيئة، وهو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة، ويستدل بكيفيات تلك الحركة على أشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها هذه الحركات بطرق هندسية[٣]، فأصل هذا العلم هو معرفة الكواكب والأفلاك والبروج[٤] وقد ازدهر هذا العلم في مرو خلال العهد السلجوقي.

وكان الفلكيون يسمون مؤلفاتهم عادة (زيج)[٥] ومن كبار علماء الفلك في مرو الإمام شمس الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن أبي بشر المروزي المعروف بالخرقي ذاع صيته في علم الهيئة، وله مؤلفات كثيرى منها: (التبصرة في علم

---

(١) البيهقي: المصدر السابق ١٢٦- ١٢٧، أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة ٣٩١.

(٢) الزركلي: الأعلام ٢/ ٢٠٢.

(٣) د/ عصام عبد الرءوف: الحواضر الإسلامية الكبرى ٢٨٤.

(٤) شريف محمد شريف: الجغرافيا، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، مجلد ١٠ عام ١٩٦٧م، ص ١٦٥.

(٥) د/ عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ٢٢٨.

obeikandl.com

الهيئة)[١] و(منتهى الإدراك في تقسيم الأفلاك)، وقد اقتدى الخرقي بابن الهيثم في تقسيم الأفلاك بالأكر المجسمة دون الاقتصار على الدوائر المتوهمة، وقسم كتابه إلى قسمين: قسم في الأفلاك والآخر في الأرض، مات سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٨م[٢]، وكان الحسن بن علي بن محمد القطان من أشهر علماء الفلك وهو أحد تلامذة اللوكري، كان له باع طويل في علم الهيئة وألف بالفارسية (كيهان سياحت) مات سنة ٤٥٨ هـ/ ١١٥٣م[٣].

ومن المهتمين بعلم الفلك أيضًا عبد الرحمن الخازن أبو الفتح، كان غلامًا روميًّا لعلي الخازن المروزي وصنف (الزنج) المسمى (بالمعتبر السنجري) نسبة إلى السلطان سنجر[٤].

كما كان أبو الفتح محمد بن أبي حنيفة النعمان بن محمد بن أبي عاصم البالقاني شيخًا عالمًا بالنجوم قابله السمعاني بمرو، مات سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦١م[٥].

٥- الرياضيات

اهتم علماء مرو بدراسة الرياضيات بفروعها الحساب والجبر والمقابلة والهندسة[٦]، وراجت هذه العلوم في مرو، وممن اشتهر بها عماد الدين أبو الثناء محمود بن أحمد بن الزكي محمد المروزي المستوفى، كان ضابطًا عارفًا بالحساب

---

(١) البيهقي: المصدر السابق ذكره ١٥٥.

(٢) حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٣٣٨- ٣٣٩، محمد محمود إدريس: السلطان سنجر ١٣٨.

(٣) د/ أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة ٢٨٨- ٢٨٩.

(٤) البيهقي: المصدر السابق ذكره ١٦٢.

(٥) السمعاني: الأنساب ١/ ٢١٦.

(٦) رسائل إخوان الصفا ١/ ٤٩.

واستيفاء الأموال[١].

ومن كبار علماء الرياضيات عبد الرحمن الخازن أبو الفتح بارعًا في علم الهندسة مات سنة ٥٥٠ هـ/ ١١٥٥م[٢]، وكان أيضًا أبو بكر فضل الله بن محمد ابن إبراهيم الدلغطاني المروزي، متبحِّرًا في الحساب، مات سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦١م[٣]، ومن المهتمين أيضًا بعلم الرياضيات بهاء الدين محمد الخرقي الذي كتب إلى تلاميذه أن الرياضيات تسمى التعاليم الأربعة؛ لأن موضوعها الكمية وهي إما أن تكون متصلة أو منفصلة[٤].

٦- الطب

وكلمة الطب في أبسط معانيها تعني فن معالجة المرضى والمتألمين والمصابين، ومن هنا كانت مهنة الطب مهنة إنسانية بالدرجة الأولى[٥]، ومن الشروط التي ينبغي أن يتحلى بها الطبيب أن يكون رفيق الخلق حكيم النفس جيد الحدس[٦]، ولقد شهدت مرو في العصر السلجوقي تقدمًا كبيرًا في علم الطب وتميز الأطباء بالتفوق في ممارستهم الطب.

وقد مارس الأطباء هذه المهنة في البيمارستانات[٧]، وهي إحدى المنشآت التي أسست للعلاج معًا[٨]، وكانت البيمارستان تسير وفقًا لنظام وترتيب معين

(١) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الأدب ٤/ ٨٥٨.
(٢) الزركلي: الأعلام ٣/ ٣٠٥.
(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢/ ٢٤٦.
(٤) البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام ١٥٥.
(٥) عامر النجار: في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية ٧، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٧م.
(٦) السمرقندي: جهار مقاله ٧٤.
(٧) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام ٤، دمشق ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩م.
(٨) شوكت الشطى: موجز تاريخ الطب عند العرب ٩، دمشق ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩م.

openkanar.com

حيث قسمت إلى قسمين منفصلين بعضهما عن بعض: قسم للذكور وآخر للإناث[١]، وكل قسم يشتمل على عدة قاعات لمختلف الأمراض، فقسم للعمليات وقسم للكحالة وآخر للجراحة[٢] وهكذا، وكانت القاعات فسيحة حسنة البناء، وكان الماء فيها جاريًا، ولكل قسم من أقسامه رئيس، كما كان للبيمارستان صيدلية تسمى (شرابخانة) كما ألحق بالبيمارستان حمام عام، وأشرف على نظافة البيمارستان الفراشون من الرجال والنساء[٣]، وكانت البيمارستان نوعان: ثابت ومحمول[٤]، والثابت ما كان بناء ثابتًا في جهة من الجهات لا ينتقل منها، أما المحمول فهو الذي ينتقل من مكان لمكان بحسب ظروف الأمراض والأوبئة وانتشارها وكذلك الحروب[٥].

وكانت البيمارستانات أهم الأماكن التي يدرس فيها الطب حيث كان طلبة الطب[٦] يتلقون علومهم على أساتذتهم فيها، إذ كانت تهيأ لهم الإيوانات الخاصة المعدة والمجهزة بالآلات والكتب أحسن تجهيز، فيقعدون بين يدي معلمهم بعد أن يتفقدوا المرضى وينتهوا من علاجهم[٧].

وقد ضم البيمارستان مكتبة كبيرة زخرت بالكثير من المؤلفات الطبية التي تساعد الطلبة على معرفة ما يحتاجون إليه في تشخيص الأمراض[٨]، وقد نبغ

(١) د/ عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ١٠٩.

(٢) عبد الله عبد الرازق: المستشفيات الإسلامية ٧٥، دار الضياء، الأردن ١٩٨٧م.

(٣) أحمد عيسى: المرجع السابق ذكره ١٩- ٢٠.

(٤) شوكت الشطى: المرجع السابق ذكره ١٠.

(٥) أحمد عيسى: المرجع السابق ذكره ١٠- ١١.

(٦) ولد ديورانت: قصة الحضارة ج٢ (١٩٠)، ترجمة محمد بدران.

(٧) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات ٣٨.

(٨) إوارد جي براون: الطب العربي ٤٧، ترجمة داود سليمان علي - بغداد ١٩٦٤م.

نخبة من علماء الطب بالمدينة؛ منهم العالم إسماعيل بن الحسن بن محمد بن أحمد العلوي الجرجاني أحد تلاميذ ابن الصادق، وقد طار صيته في علم الطب، وقد انتقل إلى خوارزم وأقام بها مدة ثم انتقل إلى مرو فأقام بها إلى أن مات سنة ٥٣١هـ/ ١١٣٦م، وكان قد عاش في كنف السلطان سنجر، وترجع أهميته في الطب إلى كونه أول شخص بعد ابن سينا ناقش كل موضوعات علم الطب بالصورة التي فكر فيها القدامى ودونها مع أبحاث وتحقيقات جديدة، كما أبرز أهم الآثار الطبية في لغة فارسية، وله فيه تصانيف حسنة منها (زبدة الطب) و(الطب المملوكي) و(التذكرة الشرفية في الصناعة الطبية)[١].

ومن كبار أطباء مرو أيضًا الحسن بن علي بن محمد القطان أبو علي عين الزمان المروزي طبيب ماهر، له مؤلفات عديدة وأهمها رسائل في (الطب)، مات سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م[٢].

كما كان قطب الدين محمد المروزي الملقب بالطبسي وهو أستاذ أبي الحسن علي بن زيد البيهقي في الطب، كما كان من أساتذة الطب في سرخس[٣].

٧- علم الصيدلة

هو العلم الذي يبحث الأدوية من حيث تركيبها وتحضيرها وهو علم وثيق الصلة بالطب، فقد ألحق بكل بيمارستان صيدلية تعرف بـ(شرابخانة) أي: خزانة الشراب، وكانت تحتوي على أنواع من الأشربة والمعالجين النفيسة والمربيات الفاخرة وأصناف الأدوية والعطريات الفائقة[٤].

---

(١) برنهارد دارن: الانتخابات البهية ١٨، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية ١٣٧٤هـ، ص١٨.

(٢) البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام ١٥٦- ١٥٧.

(٣) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة ٣٩٨- ٣٩٩.

(٤) عبد الله بن العباس الجراري: تقدم العرب في العلوم والصناعات ٧٤.

obeikandl.com

وكان يشرف على الصيدلية رئيس يسمى شيخ صيدلي البيمارستان، وهو المسئول عن تركيب الأدوية ووصفها للمريض[١].

ومن أشهر العلماء المهتمين بعلم الصيدلة إسماعيل الجرجاني الذي قام بدور مهم في إحياء علم الطب والعلاج، فمن مؤلفاته (التذكرة الشرفية في الصناعة الطبية)[٢]، وكان أيضًا الحسن بن علي بن محمد بن القطان أبو علي عين الزمان المروزي طبيبًا بارعًا، له عدة مؤلفات منها: رسائل في الطب، وأكثر معالجاته تئول على تقليل الطعام وتلطيفه، وربما كان ينهى المريض عن الدواء الغذائي فضلًا عن الغذاء[٣]، وجدير بالذكر أن الأطباء كانوا يقومون بعمل الصيادلة فضلًا عن عملهم.

٨- الفنون والعمارة

ارتقى الفن في مرو رقيًّا ملحوظًا خلال العصر السلجوقي؛ نتيجة لتشجيع سلاطين السلاجقة، فقد نشأ تحت رعايتهم طراز (قائم) بذاته يتميز بضخامة العمائر واتساعها ومظهرها القوي واستخدام رسوم الكائنات الحية المحورة عن الطبيعة وكثرة الزخارف[٤] التي غلب عليها الرسوم الآدمية ورسوم الحيوانات والطيور والرسوم النباتية[٥].

ولم تكن هذه النهضة العمرانية قاصرة على القصور فقط، بل شملت المدارس والمساجد وكذلك الأضرحة والمقابر التي تؤكد ازدهار العمارة

(١) أحمد عيسى: تاريخ البيمارستانات في الإسلام ١١، شوكت الشطي: موجز تاريخ الطب عند العرب ٤٧.

(٢) أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة ٣٩٨- ٣٩٩.

(٣) البيهقي: تاريخ حكماء الإسلام ١٥٦- ١٥٧.

(٤) زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية في الإسلام، ١٩.

(٥) زكي محمد حسن: فنون الإسلام، ٦٣١- ٦٣٣.

obeikandi.com

وتطورها في مرو، فكانت مقبرة السلطان سنجر أعظم شاهدًا على ذلك[١]، كذلك برع فنانو مرو في صناعة التحف المعدنية والزجاجية التي تتميز بجمالها ورقتها وتنوعها كالأكواب والأباريق والغلايات والأهوان والصناديق، كما قاموا بتزيينها برسوم آدمية وحيوانية وكتابات كوفية[٢].

وأيضًا نجح فنانو المدينة في زخرفة الزجاج بأساليب عديدة وطلائه بالمينا والتمويه بالذهب[٣] كالقوارير والزهريات والأكواب والصحون والأباريق[٤]، كما نبغ فنانو المدينة في زخرفة الخزف، فقد ابتكروا أروع أنواع الخزف الإسلامي[٥] كالتماثيل والبلاطات والمحاريب والشماعد والأباريق التي تميزت بالبساطة والكمال[٦]، كذلك نالت زخرفة النسيج شهرة واسعة في المدينة فقد تميزت المنسوجات بخفة وزنها وجمال رسوماتها وبساطة زخرفتها[٧]، وهكذا كان سلاطين السلاجقة من أكبر رعاة الفنون، فقد جمعوا بقصورهم في مرو الكثيرين من أهل الفن والصناعة.

خلاصة الحقيقة: أن مدينة مرو شهدت خلال العصر السلجوقي نهضة علمية وأدبية وفنية واسعة، فقد أنجبت العديد من العلماء في مختلف العلوم الذين ذاع صيتهم في الآفاق، كما كان لمؤلفاتهم عظيم الأثر في إثراء المكتبة الإسلامية، ولا شك أن مرو كانت قبلة للعلم والعلماء من أنحاء العالم الإسلامي في ذلك العصر.

---

(١) أوقطاي أصلان: فنون الترك وعمائرهم ٤١.

(٢) Michael Herson, The Art of gron p.p.88 92

(٣) Alxander Poulo islam and Muslim Art pp.78 81

(٤) ديماند: الفنون الإسلامية ٢٣٠.

(٥) ديماند: المرجع السابق ذكره ١٨١.

(٦) زكي محمد حسن: الفنون الإيرانية ٢٤٨.

(٧) د/ سعاد ماهر: الفنون الإسلامية ٢٩.

obeikandl.com